١

لغتنا العربية بين حضور القاعدة ومرونة الاستعمال

دراسة تطبيقية على المفرد الذى جمع مصححا ومكسرا

فى القرآن الكريم

الدكتور
أحمد مصطفى أبو الخير
جامعة المنصورة

١٤١٨ هـ
١٩٩٨ م

بين يدي البحث

في السطور الأولى التي تطل على القارئ - أو يطالعها - تجب الإشارة إلى شيء مهم ، بل بالغ الأهمية ، فإننا لا نهدف من دراسة موضوعنا رص ما جاء في موضوع الجموع من آراء ، عن القدماء أو المحدثين ، ثم الموازنة بين هاتيك الآراء لترجيح بعضها ، حاصرين أنفسنا في موضوع ضيق ، لا نخرج عنه، ولا نخرج منه بطائل غير تكرار ما قيل - على أهمية وضرورة ما قال علماؤنا - وإنما نحن نتطلع ونطمح إلى شيء مختلف .

إننا ندرس موضوعنا هنا مسلحين بفرضية تذهب إلى أن لغتنا العربية محكومة بقواعد ثابتة ، مطردة وثابتة ، وليس كما يبدو للباده ، وكما شاع عنها ، أو أشيع عنها : (لكل قاعدة شواذ) أو شذوذ ، فهذا ليس بصحيح ، وليس صحيحا ، ولا ينبغي أن يكون .

وسوف نحاول التأكيد على فرضيتنا هذه في هذا البحث ، وفي بحوث أخرى قادمات ؛ بغية الكشف عن خصائص العربية وقوانينها العامة ؛ ولكي نضع لغتنا في مكانها الصحيح ، ومكانتها اللائقة ، من بين اللغات المهمة ، أو في مقدمة اللغات المهمة في العالم المعاصر .

ومن نافلة القول أن نتحدث - نحن العرب - عن أهمية العربية أو عظيم مكانتها، غير أنني لا أرى بأسا من إيراد شيء مما قال أحد السفراء الأمريكان(١) ، هيومحوراني :

اللغة العربية ، كلم الله ، سبقت رسالات بلغت للناس ، على نحو أو آخر بالعبرية في العهد القديم ، أو اليونانية في العهد الجديد ، لكن القرآن الذي نزل عربيا ، ليس تاريخا، أو سيرة - مثل الإنجيل - بل وحي منزل ؛ ولهذا فالعربية أكثر اللغات

---

(١) كان سفيرا لدى المملكة العربية السعودية سنة ١٩٨٨ م ، انظر كابلان : الحملة الأمريكية ، مستعربون وسفراء ورحالة ، ترجمة محمد الخولي ، ص ٤٥٨ دار الهلال بالقاهرة ١٩٩٦ .

وشيجة مع السماء ، وهى بهذا تختلف عن الإنجليزية التى تمثل كاتدرائية متشابكة الأركان ، ترحب بالقاصدين .

نعم الإنجليزية أكثر اللغات كاثوليكية ، أما العربية فهو نظام محكم الإغلاق ، تقاوم استعارة الكلمات ، مثل جهاز جليل ، يروعك منه المنطق ، ثم تبهرك سلاسته ، وسهولة أدواته ، إذ يبدأ بالحركة ، وينتفض بالوجيب ، وما إن يتوافر لك معرفة اللواحق والسوابق من الكلمات فتودعها ذاكرتك ومعها الأفعال المجردة - الثلاثية السواكن - يصبح بوسعك أن تشكل أية كلمة تخطر على البال .

يبدو الأمر ، وكأنه التحام نطفة بأخرى ، فى إطار يستمد أصوله من معين العقيدة حيث المدد عميق وكثيف ، أين هذا من الإنجليزية ، حيث لا سبيل إلى أن تعيش المعانى الأصلية للكلمات إلا إذا درست اليونانية أو اللاتينية؟.

والمشكلة الأخرى أن العربية من أجمل ما تسمعه الأذن من إيقاع !ومن ثم تجد نفسك ترتبط بأكثر من سبب مع هؤلاء القوم ، بحكم أسلوب البللور الذى تتشكل به لغتهم، فى فضاء الله الواسع ؛ لهذا أعرف كيف قصر المترجمون الإنجليز عن مجاراة معانى القرآن .

والعربية ربما لا تكون أكثر عزلة من الصينية أو من أية لغة أخرى غير أوربية، بل إن الصينية تستعصى على صيغ الفكر الغربى أكثر من العربية .... على أن العرب قوم موحدون من أهل الصحراء ... ولعلهم بهذا عازفون عن الصور الحسية المزوقة .. وينجذبون نحو المجرد ، وليس الحسى ، ولذا لم يكن من إبداعاتهم فنون الرسم والنحت وغيره من فنون التشكيل والتجسيم .

ومن هنا يقول أستاذ حوراني الراحل - سيرهاملتون جيب - إن الوسيلة التى اختيرت أساسا كى يعبر بها العرب عن حس الجماليات لديهم كانت الكلمة واللغة ، وتلك أروع الفنون فتنة ، وهى بالتأكيد أكثرها تقلبا ، بل وأشدها خطرا ، وعند الأستاذ جيب فإن الكلام هو أعظم الفنون .

وإلى هنا انتهى كلام حورانى (١) واستاذه جيب ، ولعلنا نعود إلى تفصيل ما سبق فى بحث قادم – إن شاء الله – ولكننى أردت أن أقدم صورة يراها بعض المستشرقين عن لغتنا ، وهى بشكل واضح تختلف عن تلك الصورة التى ربما بدت لبعض العرب ، أبناء اللغة .

(١) كابلان : الحملة الأمريكية ص ٤٤٠ – ٤٤٣ .

تمهيد

الجموع وأنواعها في العربية

لا شك أن قضية الجموع فى لغتنا لهى جديرة بالدراسة ، من جميع جوانبها ، فإن طرائق الجموع فى العربية مختلفة كل الاختلاف عن غيرها من اللغات وخاصة اللغات غير السامية .

يقول الدكتور محمود حجازى :(كل اسم فى اللغات السامية لابد أن يعبر عن مفرد أو مثنى أو جمع ، وليست هذه حال اللغات الأخرى ، فاللغات الأروبية الحديثة مثلا تقسم الأسماء من هذا الجانب ثنائيا ، مفرد وغير مفرد ، وبهذا تختلف اللغات السامية عن اللغات الأروبية المعاصرة ، فالاسم الدال على اثنين أو اثنتين له فى اللغات السامية صيغة متميزة هى صيغة المثنى القياسية فى العربية ، ويبدو أن صيغة المثنى كانت هكذا فى اللغة السامية الأولى ، ولكن استخدام هذه الصيغة قل فى بعض اللغات السامية ، مثل العبرية ، فلم تعد تستخدم فيها إلا فى الأشياء التى توجد فى الواقع الخارجى مثنى مثنى ، مثل يدين و رجلين(١)) .

ويذهب برجشتراسر إلى أن شكل الجمع مما تنفرد فيه اللغة العربية ، ولا يشاركها فيه أو فى كثير منه – إلا اللغة الحبشية ، والعربية أكثر انفرادا عن غيرها منها، فنجد الجمع الصحيح ، وبالأخص المذكر منه ، قد انحصر حيزه فى اللغتين ، وشغل جزءا منه جمع التكسير ، الذى لا يوجد فى اللغات السامية الشاملة إلا بعض الأصول له (٢) .

ومعنى هذا أن جمع التكسير قد زادت مساحته على حساب الجمع الصحيح ، وخاصة المذكر ، ولعلنا نعود إلى مناقشة هذه النقطة فيما بعد .

---

(١) حجازى : علم اللغة العربية ، ص ١٤٣ .

(٢) برجشتراسر : التطور النحوى للغة العربية ، ص ٧٥ .

والآن نأخذ فى الحديث عن أنواع الجموع حتى نكون على بينة من المصطلحات التى نستخدمها ، إذا هى بالنسبة للبحث المسطرة التى نتعامل بها خلال الدراسة .

أولا :- جمع المذكر السالم :- ويسمى الجمع الذى على هجاءين - أى الواو و الياء - والجمع الذى على حد المثنى ؛ لأنه أعرب بحرفين ، وسلم فيه بناء الواحد وختم بنون زائدة ، تحذف للإضافة ، ويحذف لهذا الجمع ياء المنقوص وكسرتها فنقول (القاضون) وألف المقصور ، دون فتحتها ، مثل (الأعلون) (١) .

ويختص جمع المذكر السالم بذوى العلم - الاسم والصفة - لأن أشرف الجموع ؛ لصحة بناء الواحد (٢) .

ويقول فى شرح الأنموذج : (واعلم أن اللفظ الذى يراد أن يجمع جمع المذكر السالم إما أن يكون اسما أو صفة ، فإن كان اسما فشرط أن يكون مذكرا علما عاقلا .... وإن كان صفة فشرط أن يكون مذكرا عاقلا (٣) .

ولا يجمع هذا الجمع إلا ما كان من الثلاثة إلى العشرة ، فهو من أبنية القلة ، فإن أطلق بإزاء الكثير فتجوز ، وإنما كان كذلك لأن (هذا الضرب من الجمع على منهاج التثنية ، فكان مثله فى القلة)(٤) .

ويقول برجستراسر : (وفى المذكر المرفوع /u:/ والمجرور والمنصوب /i:/ كما هى فى الأكادية ، والضمة الممدودة هى علامة الجمع المرفوع فى الفعل أيضا ، كفعلوا وافعلوا ، ويتضح من هذا أنها من العناصر الأصلية فى الفعل أيضا ، كفعلوا وافعلوا ، ويتضح من هذا أنها من العناصر الأصلية للغات السامية ويلحق بهما فى العربية النون المفتوحة إذا كانتا غير مضافتين ، كما أنها تلحق بالمضارع مرفوعا ، نحو يفعلون ، وكإلحاق النون المكسورة بالتثنية غير المضافة نحو يدان ويدين ، وربما كان

---

(١) ابن هشام : أوضح المسالك ٣٠١/٤ .

(٢) الأردبيلى : شرح الأنموذج فى النحو لعلامة الزمخشرى ، ص ٩٦ .

(٣) السابق .

(٤) ابن يعيش : شرح المفصل ٣/٥ .

أصلها yada:na بفتح النون ، فأبدلت الكسرة بالفتحة لتتابع الحركتين المثلين ، أى الفتحة الطويلة قبل النون ، والفتحة القصيرة بعدها ، وذلك (١) عن طريق المخالفة الصوتية .

وقد فصلت مصادر النحو ومطولاته شروط الأسماء والصفات التى تقبل الجمع بالواو والنون أو الياء والنون ، ولكنها فى النهاية تثبت بعض الكلمات التى جمعت بذات الطريقة ، ومع هذا لا تتوافر فيها الشروط التى ذكرها النحاة ، منها : (سنون – عليون – عالمون – أهلون – بنون – أرضون – قلون – ثبون – عضون – مئون – قنون – إضون – أولو (٢) ...) إلخ .

وقد وصفت هذى الكلمات وأمثالها بأنها شاذة ، أو ملحقة بجمع المذكر السالم ، المهم أنها فى النهاية لا تنطبق عليها شروط هذا النوع من الجمع (٣) ، كما ذكرها النحاه فى مختلف كتبهم .

ثانيا :- جمع المؤنث السالم :- كل ما جمع بألف وتاء مزيدتين فى آخره ،ولذا يطلق عليه بعض النحاه (ما جمع بألف وتاء مزيدتين) عادلين عن تسميته بجمع المؤنث السالم ، لأن مفرده قد يكون (٤) :

– مذكرا غير عاقل ، مثل سرادق وسرادقات .

– مؤنثا لفظيا فقط ، مثل حمزة وحمزات ، وطلحة وطلحات .

– وقد يكون التأنيث معنويا غير لفظى ، مثل زينب وزينبات ، وربما يكون لفظيا، أى ذو علامة للتأنيث ، مثل (فاطمة وفاطمات ، ولبنى ولبنيات ، و لمياء ولمياوات) .

---

(١) برجشتراسر : التطور النحوى ، ص ١١١ .

(٢) ابن الحاجب : كتاب الكافية فى النحو ، انظر ص ١٨٤/٢ .

(٣) السابق .

(٤) عبد العال : الشامل لجموع التصحيح والتكسير فى اللغه العربية ، ص ١٩ .

وكما ألحق بجمع المذكر ألفاظ بعينها أعربت إعرابه ، حدث نفس الشيء هنا أيضا ، مثل : (أولات – عرفات – أذرعات (١)) إلخ (٢) .

ثالثاً – جمع التكسير :– هو(ما تغيرت فيه صيغة الواحد ، إما بزيادة كصنو وصنوان، أو بنقص كتخمة وتخم ، أو بتبديل شكل كأسد وأسد ، أو بزيادة وتبدل شكل كرجال ، أو بنقص وتبديل شكل كرسل ، أو بهن كغلمان) (٣) .

وله سبعة وعشرون بناء ، منها أربعة للعدد القليل ، وهو من الثلاثة إلى العشرة ، وهى أفعل كأكْلُب ، وأفْعَال كأحمال ، وأفْعِلة كأحْمِرة وفعلة كصبية ، وثلاثة وعشرون للعدد الكثير ، وهو ما تجاوز العشرة (٤).

وقد يستغنى ببعض أبنية القلة عن بناء الكثرة ، كأرجل وأعناق وأفئدة وقد يعكس كرجال وقلوب (٥) .

وعليه فإن الأعداد التى تضاف للمعدود عشرة ، وهى نوعان، أحدهما الثلاثة والعشرة وما بينهما ،وحق ما تضاف إليه أن يكون جمعاً مكسرا ، من أبنية القلة ، نحو ثلاثة أفلس، وأربعة أعبد ، وقد يتخلف كل واحد من هذه الأمور الثلاثة ، فيضاف للمفرد، وذلك إن كان مائة نحو ثلاث مائة ، وتسع مائة .

ويضاف لجمع التصحيح (٦) فى مسائل :

---

(١) السابق .

(٢) هذه الكلمات الملحقة بجمعى المؤنث والمذكر السالمين بحاجة إلى النظر فى شأنها ، وتجلية أمرها ، فلعلها بقايا تاريخية أو لهجية ، أو أتت فى سياقات معينة ، فى الشعر مثلا،لأسباب تتعلق بالوزن ، أو القافية ،ومن ثم نبحث مدى ورودها فى القرآن أو الأحاديث .النبوية او غيرهما .

(٣) ابن هشام : أوضح المسالك ٢ / ٣٠٧ .

(٤) السابق .

(٥) السابق .

(٦) السابق ٤/٢٥٢ .

١- أن يهمل تكسير الكلمة ، نحو : (سبع سماوات) (١) -خمس صلوات - (سبع بقرات) (٢) .

٢- أن يجاور ما أهمل تكسيره ، نحو (سبع سنبلات) فإنه في التنزيل مجاور (سبع بقرات) .

٣- أن يكون تكسير الكلمة واردا ، لكنه مع وروده قليل الاستعمال ، نحو قوله تعالى : (في تسع آيات) فإن تكسير آية على آي وارد عن العرب ولكنه ليس كثيرا في استعمالهم ، فلهذا عدل عنه إلى جمع المؤنث السالم الكثير الاستعمال .

ويضاف لبناء الكثرة (٣) في مسألتين :

١- أن يهمل بناء القلة ، نحو : (ثلاث جوارٍ - أربعة رجال - خمسة دراهم) .

٢- أن يكون له بناء قلة ، ولكنه شاذ قياسا ، أو سماعا ، فينزل لذلك منزل المعدوم ، فالأول نحو (ثلاثة قروء) فإن جمع قرء على أقراء شاذ ،والثاني نحو (ثلاثة شسوع) فإن أشعاسا قليل الاستعمال .

يقول الدكتور محمود الطناحي (٤) : (ولعل أقدم من عرف جمع التكسير تعريفا يميزه عن قسيميه - جمع المذكر ، وجمع المؤنث السالمين - ابن جني فقد قال في تعريفه : هو كل جمع تغير فيه نظم الواحد وبناؤه ، ويكون لمن يعقل ، ولمن لا يعقل ، وإعرابه جار على آخره ، كما يجري على الواحد الصحيح ، نحو هذه دور وقصور ، ورأيت دورا وقصورا ، ومررت بدور وقصور).

أما برجشتراسر (٥) فيقول : وإذا اطلعنا على الجمع رأينا جمع التكسير يتبع في بعض الأوقات كأن مذكر مجموع ، وفي بعضها كأنه مؤنث مجموع ، وفي أكثرها على

(١) ٢٩ / البقرة .

(٢) ٤٣ / يوسف .

(٣) ابن هشام : أوضح المسالك ٤/٢٥٤ .

(٤) جموع التكسير والعرف اللغوي ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، جـ٧١ ، ص ١٣٩ .

(٥) التطور النحوي ، ص ١١٣ .

أنه مؤنث مفرد ، بغير رعاية لمفرده ، أكان مذكرا أم مؤنثا ، وأما الجمع الصحيح فنجد علامة المذكر منه تلحق بالاسم المؤنث في بعض الحالات ، نحو أرض وأرضون ، وسنة وسنون ، ومائة ومئون ، وعلامة المؤنث منه تلحق بالاسم المذكر في الكثير منها، نحو: اصطلاح و اصطلاحات .

ويرى برجستراسر أن جمع التكسير في الأصل ليس بجمع ، بل هو اسم جملة ، يعني أنه يدل على جنس متركب من غير واحد من الأفراد ، والجمع يدل على الأفراد المتعددة، ونجد أيضا أن أوائل استعمال الجمع المكسر ترجع إلى زمان قديم ، وان القليل من أبنيته يوجد نظيره في اللغات السامية الشمالية ، وأكثرها خاص بالعربية والحبشية .

والمسألة النظامية هي : أي نسبة تقوم بين الجمع المكسر والجمع السالم ، وسائر الأبنية الدالة على جملة او أكثر ؟ وما الفرق بين هذه الأنواع كلها في المعنى وفي الاستعمال ؟ .... إلخ (١) .

رابعاً :- اسم الجمع :- هو ما دل على معنى الجمع ، وليس له واحد من لفظه غالبا وليس على وزن من أوزان جموع التكسير المحفوظة ، مثل (قوم - رهط) ومن العلماء من يعد من هذا النوع ألفاظ (ركب - صحب - سفر) ومن العلماء من يعدها جموعا ، وإن لم تكن على وزن من الأوزان المحفوظة لجمع التكسير ، ويدعى أن أوزان جموع التكسير محصورة في هذه الأوزان التي رواها سيبويه ، وتناقلها عنه العلماء (٢) .

ويقول عباس حسن (٣) : (اسم الجمع ليس له مفرد من لفظه ومعناه معا ، وليست صيغة على وزن مكسر ، أو غالب فيه ، مثل ابل وقوم وجماعة) .

---

(١) السابق ، ص ٧ .

(٢) ابن هشام : أوضح المسالك ٣٤٦/٤ .

(٣) النحو الوافي ، ص ٦٨٠/٤ .

أما برجشتراسر (١) فقد أسمى هذا النوع من الجموع بشيء آخر ، وهو أسماء الجملة – كما ألمحنا قبلا – وقد عرفه بقوله : (هي الأسماء التي تدل على جنس متركب من الأفراد ، وهي كثيرة في اللغات السامية وغيرها ، منها القوم والحي – أي القبيلة – والأهل والركب والقطيع من الغنم نفسها، والضأن والطير إلى غير ذلك ومعناها معنى الجمع ، ومعنى المفرد ، فهي تشبه الجمع في أنه يعبر بها عن غير واحد من الأفراد ، وتشبه المفرد في أن القوم مثلا وإن احتوى على عدد كثير من الناس ، فهو فرد يميز عن غيره ، ولذا يمكن جمعه على أقوام ، وكثيرا ما اشتقوا من مادة اسم الجملة اسما دالا على الواحد ايضا ، نحو راكب واحد بخلاف الركب المحتوى على كثير منهم ، وكلاهما موجود في العبرية ، وقد تكون مادة الواحد غير مادة الجملة في بعض الأوقات ، نحو القوم ، فالواحد من رجل أو امرأة) .

على أية حال فإنني لا أدري لماذا اختار برجشتراسر اسم الجملة بدلا من اسم الجمع ؟ ومع أن المعنى لا يختلف كثيرا ، فقد جاء في القاموس المحيط (٢) : (وجَمَل جمع ... والشيء جمعه عن تفرقة ، والحساب رده إلى اسم الجملة ...والجملة جماعة الشيء) فإننا سوف نستخدم اسم الجمع ، وليس اسم الجملة ، حيث لم نجد أحدا يستخدم مصطلح برجشتراسر ، سواء من القدماء والمحدثين .

خامسا – اسم الجنس :– ينقسم إلى قسمسين ، اسم الجنس الجمعي ، واسم الجنس الإفرادي ، فالأول أي الذي يكون الفرق بينه وبين مفرده بالتاء نحو تمرة وتمر ، ونخلة ونخل وبقرة وبقر وسفينة وسفين ولبنة ولبن ، أو بالياء ، نحو رومي وروم ، وتركي وترك وحبشي وحبش وعربي وعرب (٣) .

يقول ابن يعيش : (إنما هو عندنا اسم مفرد ، واقع على الجنس ، كما يقع على الواحد ، وليس بتكسير على الحقيقة ، وإن استفيد منه الكثرة لأن استفادة الكثرة ليست

---

(١) التطور النحوي ، ص ١٠٧ .

(٢) ٣/٣٤٠ ، ٣٤١ .

(٣) ابن الحاجب : كتاب الكافية في النحو ١٧٨/٢ .

من اللفظ ، وإنما هى من مدلوله ، إذا كان دالا على الجنس ، والجنس يفيد الكثرة والكوفيون يزعمون أنه جمع، كسر عليه الواحد)(١).

واسم الجنس الجمعي يقع على القليل والكثير ، فيقع على التمرة والتمرتين والتمرات ، وكذا الروم ، فإن أكلت تمرة أو تمرتين ، وعاملت روميا أو روميين جاز لك أن تقول : أكلت التمر ، وعاملت الروم ، ولو كانا جمعين لم يجز ذلك ، كما لا يقع رجال على رجل ، ولا رجلين ، بل قد يكون بعض أسماء الأجناس مما اشتد فى معنى الجمع ، فلا يطلق على الواحد والاثنين ، وذلك بحسب الاستعمال لا بالوضع كلفظ الكَلِم)(٢).

والفرق بين اسم الجمع ، واسم الجنس الجمعى – مع اشتراكهما فى أنهما ليسا على أوزان جموع التكسير – أن اسم الجمع لا يقع على الواحد والاثنين بخلاف اسم الجنس، فضلا عن أن الفرق بين المفرد واسم الجنس هو التاء أو الياء ، بخلاف اسم الجمع (٣) .

أما اسم الجنس الإفرادى ، فهو ما يصدق على الكثير والقليل ، مع أن اللفظ واحد، مثل ماء وذهب وفضة وخل وزيت وقطن .... إلخ (٤) .

ومن الواضح أن الفرق بين اسم الجنس الجمعي واسم الجنس الإفرادى أن الأخير غير قابل للعـــــــدد ، على عكس الأول ، فالتمرعدد من التمرات ، والشجر عدد ، والنخل عدد ، أو يمكن عده ، فى حين إن الزيت والماء مثلا غير قابلين للعد ، وهكذا .

سادسا – جمع الجمع : – وفى العربية شيء آخر مختلف عن غيرها من اللغات ، خاصة

(١) ابن يعيش : شرح المفصل ٥/٧١ .

(٢) كتاب الكافية فى النحو ٢/١٧٨ .

(٣) السابق .

(٤) الضاحى : جموع التكسير والعرف اللغوى ، ص ١٣٩ .

غير السامية (١)، هو ما يسمى بجمع الجمع ، نحو يد وأيد وأياد ، وقول وأقوال وأقاويل، وبيوت وبيوتات وجمال وجمالات (٢) .

يقول سيبويه : (واعلم أنه ليس كل جمع يجمع ، كما أنه ليس كل مصدر يجمع ، كالأشغال والعقول والحلوم والألباب ، ألا ترى أنك لا تجمع الفكر والعلم والنظر ، كما أنهم لا يجمعون كل اسم يقع على الجمع ، نحو التمر) (٣).

قال ابن يعيش : (اعلم أن جمع الجمع ليس بقياس ، فلا يجمع كل جمع ، وإنما يوقف عندما جمعوه ، فلم يكن بنا حاجة إلى جمع ثان... وإنما يجمعون الجمع إذا أرادوا المبالغة فى التكثير ، والإيذان بالضروب المختلفة من ذلك النوع ، على تشبيه لفظ الجمع بالواحد ، وقد جاء فى جمع القلة ، وفى جمع الكثرة ، وهو فى جمع القلة أسهل ؛ لدلالته على القلة ، فإذا أريد جمع الكثير جمعوه ثانية) (٤) .

وبعد استعراض أنواع الجموع فى العربية نتطرق إلى تساؤلين مهمين ، الأول دلالة هذه الجموع على القلة والكثرة ، وهل هذه الدلالة ثابتة ومطردة ، أو بمعنى آخر قياسية ؟ والثانى هل أشار النحاة إلى إمكانية جمع الكلمة الواحدة مصححة مرة ومكسرة أخرى ؟ .

ونبدأ بالتساؤل الأول فنقول : الجمع إما جمع قلة ، أو جمع كثرة ، وجمع القلة ما يطلق على العشرة فما دونها من غير قرينة ، ويطلق على ما فوق العشرة مع قرينته ، وجمع الكثرة بخلاف ذلك ، والجمع المصحح مذكره ومؤنثه للقلة ، والذى يكون من الجمع المكسر على وزن أفعل كأحرف ، وأفعال كأفراس وأفعلة كأغلمة ، وفعلة كغلمة جمع قلة أيضا ، وما عدا المذكور من الجموع جمع الكثرة ، فيقال فى جمع القلة : عندى أفلس ، من غير قرينة ، إذا المراد عشرة فما دونها ، وعندى اثنا عشر أفلس مع قرينة ،

---

(١) يرى برجشتراسر أن جمع الجمع يوجد مثله فى الحبشية ، انظر التطور النحوى ، ص ١١١ .

(٢) الكتاب ٦١٩/٢ .

(٣) السابق .

(٤) شرح المفصل ٧٤/٥ .

وهى اثنا عشر مثلا ، إذا كان المراد ما فوق العشرة ، ويقال فى جمع الكثرة على خلاف ذلك ، نحو : (عندى رجال) من غير قرينة ، إذا كان المراد ما فوق العشرة ، وعندى ثلاثة رجال مثلا ، إذا كان المراد ما دونها (١) .

ولذا قال ابن خروف : (جمعا السلامة مشتركان بين القلة والكثرة) والظاهر أنهما لمطلق الجمع ، من غير نظر إلى القلة والكثرة ، فيصلحان لهما .

وجاء فى شرح الكافية : (واستدلوا على اختصاص أمثلة التكسير الأربعة بالقلة بغلبة استعمالها فى تمييز الثلاثة إلى العشرة ، واختيارها فيه على سائر الجموع ، إن وجدت).

أما سيبويه فله رأى فى بيت حسان المشهور ، يقول : (وقد يجمعون بالتاء ،وهم يريدون الكثير ، قال حسان بن ثابت :

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى .:. وأسيافنا يقطرن من نجدة دما.

فلم يرد أدنى العدد)(٢) .

ويقول ابن مالك :

أفعلة ، أفعل ، ثم فعلة .:. ثَمّت أفعال جموع قلة(٣)

وبعضُ ذى بكثرة وضعايفى .:. كأرجل والعكس جاء كالصُّفى

والاستخدام القرآنى يؤيد ما سبق :

- (كتب عليكم الصيام ،كما كتب على الذين من قبلكم ،لعلكم تتقون،أياما معدودات)(٤) أى أيام شهر رمضان ، تسعة عشرون ، أو ثلاثون .

- (واذكروا الله فى أيام معدودات)(٥) وهى أربعة أيام (٦).

---

(١) الأردبيلى : شرح الأنموذج فى النحو ، ص ٩٩ .

(٢) الكتاب ٣/٥٧٨ .

(٣) شرح الأشمونى لألفية ابن مالك ، ٤ / ٢٢٣ ، ٢٢٥ .

(٤) ١٨٤ / البقرة .

(٥) ٢٠٣ / البقرة .

(٦) عن ابن عباس : الأيام المعدودات ، أيام التشريق أربعة ، يوم النحر وثلاثة بعده ، انظر ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٤/٢٤٥ .

(إن المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات .... والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجر عظيما)(١) والغرض من جمعي التصحيح في الآية كلها الكثرة ، لا ما هو بين الثلاثة إلى العشرة (٢) .

على أية حال فإننا نرى أن الغرض من الجمع ربما لا يكون الإشارة إلى قلة أو كثرة ، أو ارتباط البتة بعدد ما ، بل مطلق الجمع فقط ، كما رأينا في الآية الأخيرة التي ذكرناها.

ومن ناحية أخرى فإن القلة والكثرة مسألة نسبية ، فما تراه قليلا قد يراه الآخر كثيرا ، والعكس ممكن ، فأيام التشريق – وهي ثلاثة أو أربعة – معدودات ، وأيام شهر رمضان هي معدودات ، بلا شك وذلك بالقياس إلى بقية أيام السنة ، وهكذا .

أما التساؤل الثاني هل هناك ألفاظ تجمع مصححة ومكسرة ؟ فقد رأينا أمثلة لها في دراسة القدماء والمحدثين لقضية الجموع في لغتنا العربية ، منها :-

(بخيل وبخلاء وبخيلون(٣) – خالد وخوالد وخالدون (٤) – قاسم وقواسم وقاسمون – عاقل وعقلاء وعاقلون – صالح وصلحاء وصالحون(٥) – الأفضل والأفاضل والأفضلون – الأكرم والأكارم والأكرمون – شاهد وشهاد و شاهدون(٦) – فاسق وفسقة وفاسقون (٧) – جاهل وجهلة وجاهلون – رسالة ورسائل ورسالات (٨) – صحيفة وصحائف وصحيفات – جفنة وجفان وجفنات – قصعة وقصاع وقصعات(٩) –

---

(١) ٣٥ / الأحزاب .

(٢) ابن جني : المحتسب ١/١٨٧ .

(٣) زكريا : الألسنية التوليدية والتحويلية ، وقواعد اللغة العربية ص ٦٦ .

(٤) ابن يعيش : شرح المفصل ٥/٥٢ .

(٥) السابق .

(٦) السابق ٥/٨ .

(٧) الكتاب ٣/٦٣٢ .

(٨) شرح المفصل ٥/٤٤ .

(٩) السابق .

عمامة وعمائم وعمامات(١) - جنازة وجنائز وجنازات - جمـرة وجمـار وجمـارات - حرة وحرار وحرات (٢) رقبة ورقاب ورقبات - روضة ورياض وروضات) .

فهل يمكن القول بأن كل اسم يمكن أن يجمع مصححا أو مكسرا، دون شروط أو قيود ؟ يقول ابن يعيش (٣) : (ولا يجمع المؤنث .... بالألف والتاء ، ولا مذكره بـالواو والنون ، لأنه ليس بجار على الفعل ، وذلك أن الصفات على ضربين ، أحدهما مـا كـان جاريا على الفعل كضارب وضاربة ، وغير جـار كـأحمر ونحـوه ، فمـا كـان مـن الأول فنقول فى المذكر قائمون وضاربون ، وفـى المؤنـث قائمـات وضاربـات، وذلـك أنـه لمـا جرى علىالفعل ، شبه بلفظ الفعل الذى يتصل به ضمير الجمع ، لأن الفعل يسلم ويتغير بما يتصل به ، فقولك : ضاربون بمنزلة يضربون ، وضاربـات بمنزلـة يضربـن ، ومـا كان من الثانى ،وهو غير الجارى ، فلا يجمع جمع السلامة ، إلا عن ضرورة) .

وفى موضع آخر يقول صاحب شرح المفصل : (إن جريحا وبابه لا يجمع جمـع السلامة ، لأنه يستوى فيه لفظ المذكر والمؤنث فيقال رجل جريح ، وامرأة جريح ، فـلا يقال : جريحون ، كما لا يقال : جريحات)(٤) .

إذن هنـاك تحفظـات فـى جمـع الصفـة ، إذ يشـترط أن تفرق التـاء بيــن المذكـر والمؤنث ، كما وجدنا فى ضارب وقائم ، وليس أحمر وحمراء إلاشذوذا ، أو ما يستوى فيه المذكر والمؤنث كجريح وصبور .

أما الأعلام فالظاهر أنه لا شروط لجمعها مصححـة أو مكسرة ، كمـا رأينـا فـى خوالد وقواسم وخالدون وقاسمون،أو على الأقل لا يوجد ما يمنع من ذلك .

على أية حال فقد أشار الدكتور محمود الطناحى(٥) إلى دور العرف اللغوى هنا :

---

(١) الكتاب ٣/٦١١ .

(٢) شرح المفصل ٥ / ٢١ .

(٣) السابق ٥/٦٠ .

(٤) السابق ٥ / ٨١ .

(٥) جموع التكسير والعرف اللغوى .

(ولا يجرى العرف اللغوى بين جموع التكسير فقط ، بل يجرى بينها وبين جمع المذكر السالم أيضا ، ففى عامل وعاملون وعمال ، لا فرق فى اللغة بين هذا وذاك، لكن العرف اللغوى الآن - وبخاصة فى مصر- يطلق العمال على الحرفيين ، وأصحاب الصناعات اليدوية ، ويجعل العاملين مرادفة للموظفين ، فهو يبدو أكثر احتراما) (١) .

ويقول الباحث نفسه فى موضع آخر : (إذا كانت القاعدة ... تعمم ، فإن الاستعمال يخصص ، وإذا كانت القاعدة تطلق ، فإن الاستعمال يقيد تبعا لتوجه الدلالة ومقاصدها(٢) .

وعليه فإذا كانت القاعدة تبيح جمع الكلمة بصيغتين ، أحدهما مكسرة والأخرى مصححة، فإنا لن نجد إحداهما تستعمل مكان الأخرى ، دون فرق ، يميز بينها وبين الصيغة الأخرى ، وخاصة فى القرآن الكريم .

ومن هنا كانت أهمية البحث الذى نقوم به ، حيث نحاول معرفة سبب - أو أسباب -اختلاف صيغة الجمع للكلمة الواحدة ، بل لا نعدو الصواب ولا نتجاوزه إذا ذهبنا إلى ضرورة دراسة موضوعات النحو والصرف مرة أخرى ، بل مرات ، ومن هذى الموضوعات المهمة فى درسها وفى دراستها قضية الجموع فى العربية .

إننا لا نؤمن بمقولة ان موضوعات النحو والصرف نضجت حتى احترقت بل نرى ضرورة إعادة النظر فى كل ما قال القدامى ، وذلك على ضوء المعطيات الجديدة فى الدراسة اللغوية الحديثة ، وسوف نجد الجديد والجديد ليكون لهذا الجيل إسهامه ، كما كان للأجيال الماضية،نحن مطالبون أن نرفع البناء ، ونكمل الطريق ، بأن نكثر النظر ، ونديم المناقشة لهذا الموروث الضخم ، فنجمع الشبيه إلى الشبيه ، ونقرن النظير بالنظير(٣) .

---

(١) شكابعض الطلاب الإفريقين من أن العرب يجمعون إفريقى على (أفارقة) فيكسرونه ، وفى هذا إزراء وعدم احترام ، إنما الجمع (إفريقيون) بالتصحيح ، دون تكسير .

(٢) السابق ص ١٩٤ .

(٣) السابق ص ١٩٣ .

أما أهمية دراسة الجموع من جوانبها المختلفة فترجع إلى أسباب كثيرة منها :-

١- إن ما نجده مكتوبا حول الجموع يتأرجح بين الإيجاز المخل ، والتطويل - أو التنويه - الممل ، إن كثيرا مما قال القدماء في هذه القضية لهو بحاجة ماسه إلى الدراسة وإمعان نظر ، كي يسبر غوره (١) ويفاد منه بالشكل المناسب .

إن طريقة الجمع لهي مختلفة كثيرا في العربية عن غيرها من اللغات ، حتى السامية منها ، فالكثير من اللغات ، مثل اللغات الأروبية الحديثة تقسم الأسماء بشكل ثنائي ، مفرد وغير مفرد (٢) ، بل نجد بعض اللغات مثل لغة الملايو - لا تفرق أحيانا بين المفرد والمثنى والجمع ، أي لا فرق بين المفرد وغيره (٣) ، وفي بعض الأحيان تعبر عن الجمع بتكرار الكلمة نفسها ، مع شرطة بينهما ، هكذا rumah - rumah بيوت (٤)، حتى الألفاظ المقترضة من لغة أخرى تعاملها نفس المعاملة ، ولا تأخذ بطريقتها في معاملة غير المفرد ، مثل profeser - profesor ، إذ لا تستخدمها في الجمع كما في لغتها التي اقترضت منها ، أي professors بإضافة اللاحقة التي تدل على الجمع الإنجليزي .

فإذا ما أردنا دراسة تقابلية بين العربية وبين الملايو أو الإنجليزية مثلا فإن علينا أن نفهم فهما جيدا وعميقا ما يخص لغتنا ، على كاف المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية ، وخاصة حين يكون البون شاسعا بين العربية واللغة الأخرى التي نقابل بينها وبين لغتنا ، كما هو الشأن والحال في الجموع بأنواعها وأشكالها .

٢- إن كثيرا من النقاط في الجموع لا تزال غير واضحة ، أو غير مبررة على الإطلاق، مثل الملحق بجمعي السلامة ، ولا سيما الملحق بجمع المذكر ، ولماذا تجمع

---

(١) عبد العال : الشامل لجموع التصحيح والتكسير في اللغة العربية ، انظر ٣/١ حيث يقول : (ويعتبر التأليف في قواعد النحو مسألة منتهية ، فقد وضعت فيها المؤلفات والشروح ومن أراد أن يكتب فيها من جديد فلن يجد ما يستحدثه غير ما سُبق إليه ، يستطيع أن يعيده، ولا يستطيع أن يزيده) ونحن لا نوافق على وجهة النظر هذه ، بدليل أن الرجل نفسه قد وضع مؤلفه الذي جاء في ثلاثة مجلدات حول الجموع في العربية .

(٢) حجازي : علم اللغة العربية ، ص ١٤٣ .

(٣) إبراهيم : دراسة تقابلية بين اللغتين العربية والماليزية على مستوى التركيب النحوي ، ص ٦٠ .

(٤) حسن : أهم ملامح النظام الصرفي للغتين العربية والملايوية (نظرات تقابلية) ص ٤٢ ، ٦٠ .

نفس الكلمة بصيغتين مكسرتين ، أو بأكثر من صيغة ، وأحيانا يصحح ويكسر مفرد واحد بعينه ، كما سنرى فى القرآن الكريم ، وقد أشرنا إلى بعض الأمثلة .

إننا نؤيد برجشتراسر فى تساؤلاته (١) : (أى نسبة تقوم بين الجمع المكسر والجمع السالم ، وسائر الأبنية الدالة على جملة أو أكثر ؟ وما الفرق بين هذه الأنواع كلها فى المعنى وفى الاستعمال ؟ إلخ) .

٣- فى المؤتمر السنوى الثالث لتعريب العلوم بالقاهرة (٢) ذكرت بعض مداخلات المؤتمر أن الغرب معنى الآن بالبحث عن لغة عالمية . وما شأن الاسبرانتو بخاف أو بعيد عن الأذهان - ولعل بعض الناس لا يرى من لغة عالمية غير اللغات الأوربية كالإنجليزية أو الفرنسية ، أو غيرهما ، ولكنى وغيرى كثير (٣) - نرى أن العربية مرشحة الآن لأن تكون هذه اللغة التى يبحث عنها الغرب .

لقد قدمت العربية قبلا أهم عناصر اللغة العالمية ، وهو ما نكشف عنه فى بحث قادم - إن شاء الله - وهى الآن قادرة على تقديم عناصر أخرى ، ومعطيات أخر فى الحاضر والمستقبل .

ومن المنطقى أننا إذا أردنا للعربية أن تأخذ مكانتها ومكانها وقدرها أن نعنى بدراستها ، فى كل جوانبها وزواياها ، وقضاياها ، ومنها - أو من أهمها - قضية الجموع .

والدراسة التى نقوم بها جزء من هذا الاهتمام الى نبديه نحو العربية ، وقضية الجموع بشكل خاص ، حيث ندرس الألفاظ التى صححت وكسرت فى القرآن الكريم ، وأسباب اختلاف صيغة الجمع ، وخاصة فى القرآن الكريم ، إذ لا يمكن القول بأن اختلاف صيغة الجمع ليس له سبب أو هدف ، فإن هذا الوضع - على شك فيه وريب -

---

(١) التطور النحوى ، ص ٧ .

(٢) عقد فى مارس ١٩٩٧ ، بجامعة عين شمس .

(٣) بل وصلت هذه الدعوة إلى وسائل الإعلام . ففى عدد الجمعة ١٩٩٧/٦/٦ فى الأهرام القاهرية جاء مقال كبير بعنوان (التعليم فى عالم متغير : اللغة العربية ... تصبح لغة عالمية أم يدفعها أبناؤها ؟) .

فى لغة المخلوق ، فإن لا يتصور على الاطلاق فى كلام الخالق – جل وعلا – إذ الفرق بين كلام الله وكلامنا هو الفرق بين الخالق والمخاليق .

على أننا حددنا دراستنا فى الفرق بين المكسر والصحح فقط ، وهذا ما دعانا إلـى إخراج اسم الجنس الجمعـى ، مثـل بقـر وبقـرات ، كلمـة وكلـم وكلمـات ، وبـدوى وبـدو وبادون ، وهكذا .

إذن الدراسة انصبت على الكلمات التى جمعت مكسرة ، ومصححة سـواء مذكـرة أو مؤنثة ، مع التأكد من أن المفرد واحـد للجمعيـن ، وأن واحـدا مـن الجمعيـن مكسـر ، والآخر مصحح (١) .

---

(١) جمع التصحيح فقط ، ليس الملحق به ، ولذا استبعدنا (بنون – أبناء) لأن الأولى ملحقة بجمع المذكر السالم ، غير مستوفية لشرط التصحيح .

الألفاظ التي جمعت مصححة ومكسرة في القرآن الكريم

بريئون وبرآء :- في مادة (ب رأ) جاء منها في القرآن الكريم : (برىء - براء - بريئون - (١) برآء) أما الأولى فقد رأيناها في عشرة مواضع ، مرة واحدة منصوبة ، والباقي مرفوعة ، أما براء فقد وقعت مرة واحدة ، وأيضا (بريئون - برآء) فقد وقعت كل منهما مرة واحدة فقط، ونفصل مواضع كل فيما يلي :

مرة واحدة جاءت : (بريئا) منصوبة في قوله تعالى : (ومن يكسب خطيئة ، أو إثما، ثم يرم به بريئا ، فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا (٢)) لقد نزلت الآية تدين اتهام البرىء - وكان رجلا (٣) صالحا - أما باقي المواضع فإنها تعبر عن إعلان البراءة من الشرك أو الكفر ، وخاصة من قبل بعض أنبياء الله الذين أمروا بإعلان هاتيك البراءة يقول محمد - عليه الصلاة والسلام - لقومه : (أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى ، قل : لا أشهد قل : إنما هو الله إله واحد ، وإنني برىء مما تشركون (٤)) .

وهكذا تجد كل المواضع التسعة التي وردت فيها لفظة (برىء) مرفوعة نجدها في كل مواضعها مسبوقة بما يدل على الإقرار :

-(إنني) مرة واحدة .

-(أني) مرة واحدة .

- (أن) مرة واحدة .

- (أنا) مرتين .

- (إني) أربع مرات .

---

(١) عبد الباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . انظر ص ١١٦ - ١١٧ .

(٢) ١١٢ / النساء .

(٣) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، انظر ص ٥٥٣ ، ٥٥٤ جـ١ .

(٤) ١٩ / الأنعام .

أما (براء) فقد وقعت مرة فقط فى قوله تعالى : (وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه : إننى براء مما تعبدون (١)) وفى هذا الموضع أيضا سبقت البراءة بما يدل على الإقرار، أى(أننى) كما حدث من –محمد صلى الله عليه وسلم – حين برئ من مشركى قريش.

ونتساءل : ما الفرق بين (برىء) وبين (براء)؟ جاء فى مقاييس اللغة لابن فارس (٢): (وأهل الحجاز يقولون : أنا براء منك ،وغيرهم يقول : أنا برىء منك ، قال تعالى فى لغة أهل الحجاز " إننى براء مما تعبدون" وفى غير موضع من القرآن " إنى برىء" فمن قال :أنا براء لم يثن ، ولم يؤنث ، فيقولون : نحن البراء والخلاء من هذا ، ومن قال : برىء ، قال : بريئان وبريئون ، وبرآء على وزن برعاء ...)

أما المرحوم الدكتور إبراهيم أنيس فيرى أنه إذا كان الحجازيون يقولون : " برأت من المرض" وسائر العرب يقولون " برئت" أمكننا بسهولة أن نتصور أن الأصل : " برئت" وأن نوعا من الانسجام بين الحركات قد أدى إلى الصيغة الأخرى الحجازية : " برأت(٣)" .

وعليه فإن يمكن القول بأن الحجازين كانوا يقولون :

- برأت فأنا براء .

فى حين كان غيرهم من العرب يقولون :

- برئت فأنا برىء .

إذن (براء) حجازية و(برىء) غير حجازية ، وهنا يبرز تساؤل آخر ، هل تجمع (برىء) على (بريئون – بريئين) وفى ذات الوقت تجمع على : (برآء) ؟

يبدو أن الأمر ينتهى إلى هذا الاستنتاج السابق ، بما أن براء لا تجمع ، ويظهر أيضا أن المعجم الكبير نقل رأى ابن فاس ، مع نفس الأمثلة أيضا جاء فى مادة

---

(١) ٢٦: الزخرف .

(٢) ١/٢٣٦ .

(٣) فى اللهجات العربية ، ص ٩٧ .

(ب ر أ)(١) ما يلى : (البراء – يقال : أنا براء منه وخلاء ، لا يثنى ولا يجمع ، ولا يؤنث ، لأنه مصدر فى الأصل ، وفى القرآن الكريم " إننى براء مما تعبدون" وقال ابن فارس : أهل الحجاز يقولون : أنا براء منك ، وغيرهم يقول : أنا برىء منك) .

ونقل الدكتور عبد المنعم (٢) عبد العال عن ابن جنى قوله : (يجمع برىء على أربعة من الجموع : برىء وبُراء كظريف وظراف ، وبرىء وبرآء كشريف وشرفاء وبرىء وأبرياء كصديق وأصدقاء ، وبرىء وبرآء ، قال تعالى : " إنا برآء منكم – أنتم بريئون مما أعمل") .

إذن (بَراء) لا تجمع على (برآء) لأن الأولى تبقى كما هى فى المفرد والمثنى والجمع ، ومع المؤنث والمذكر على السواء ، فهى كأنها محنطة ، لا تتصرف ، ولا تتغير مع غير المفرد ، أو مع المؤنث ، إن لفظة (براء) وغيرها ممالا يتأثر بالعدد أو الجنس يشبه ما تفعلة بعض اللغات ، مثل الملايو عندما لا تفرق بين مفرد أو مثنى أو جمع ، أو بين مذكر ومؤنث – فى الأغلب الأعم – إلا أن أمثال هذى الألفاظ فى العربية قليل ،على العكس من الملايو التى لا تفرق بين المذكر والمؤنث إلا فى بعض الكلمات ، فالمفرد قد يستعمل فى الجمع دون تغيير بنائه (٣) .

أما : (برىء) فهى تثنى وتجمع ، وتؤنث أيضا ، بل قد جمعت مرتين ، وبصيغتين مختلفتين ، مرة مصححة ، وأخرى مكسرة ، وقد جاءت فى القرآن الكريم بالصيغتين المصححة والمكسرة ، وجاءت كل صيغة منهما مرة واحدة فقط ، وبشكل متعادل تماماً من ناحية العدد (٤)

---

(١) ١٧٨،١٧٧/٢ .

(٢) الشامل لجموع التصحيح والتكسير فى اللغة العربية ، ١٤٨/١ .

(٣) حسن ، د. عبد لرزاق : أهم ملامح النظام الصرفى للغتين العربية والملايوية (نظرات تقابلية) ص ٤٢ .

(٤) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، انظر ص ١١٦ /١١٧ .

ويلاحظ على (برىء) أيضا أنها وقعت فى القرآن الكريم عشر مرات، أما (براء) فقد وقعت (١) مرة فقط ، وليس غيرها مما يمكن القول معه بان الأخيرة أقل شهرة فى كلام العرب – لا سيما عند نزول القرآن – من الأولى ، بل إن الاستخدام العربى الحديث فى الفصحى و اللهجات – يكاد يهجر (براء) إلى برىء .

فإذا عدنا إلى (برىء) وجمعها فلماذا جمعت مصححة ومكسرة ؟ يبدو أن قبولها تاء التأنيث هو السبب ، وعليه فإن برىء جمعها بريئون – أو برآء – وبريئة جمعها بريئات .

ولكن هل اختلاف الصيغة سببه القلة والكثرة ، أى القلة عند التصحيح ، والكثرة عند التكسير ؟ لا يبدو السياق مرجحا لشىء من هذا إذ فى قول الله تعالى يخاطب نبيه – صلى الله عليه وسلم : (وإن كذبوك فقل : لى عملى ، ولكم عملكم ، أنتم بريئون مما أعمل ، وأنا برىء مما تعملون) نرى الجمع المصحح لا يدل على القلة البتة ، بل على العكس تماما ، فإن الآية مكية (٢) ، حيث كان المؤمنون قلة قليلة ، وكان الكفار كثرة واضحة – أى فى العدد – ومن هنا كان جمع التكسير – لو جاء هنا مؤيدا لمن ذهب بأنه جمع كثرة ، والمصحح للقلة .

وفى ذات الوقت فإن قول الله تعالى على لسان نبيه إبراهيم – عليه السلام – ومن آمن معه : (إذ قالوا لقومهم : إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله (٣) ...) وقد كان إبراهيم – عليه السلام – ومن معه قلة ، فى مواجهة كثرة ، عبر عنها القرآن الكريم بالقوم (قالوا لقومهم) أى الكثرة الكاثرة من القوم ، أو ما عدا المؤمنين من

---

(١) السابق .

(٢) بن كثير : تفسير القرآن العظيم ، انظر ٢ / ٤١٨ .

(٣) ٤ : ممتحنة .

هؤلاء القوم (١) ، ومن هنا فلادلالة للجمع المكسر (برآء) على الكثرة بل على العكس، هى تشير إلى قلة مؤمنة ، فى مواجهة كثرة قومهم الكافرة (٢) .

لكننا نلاحظ أن الجمع المصحح يناسب السياق هنا ، لأنه يتسق مع (تعلمون) فى نهاية الآية ،يكون سجعا مع هذا الفعل المرفوع بالنون ، فرءوس الآى بعد (تعلمون) تنتهى بالواو والنون ، أو الياء والنون (٣) وإن كان أغلبها بالواو والنون ، وكذلك الأمر قبلها ، فضلا عن قصر الآيات ، كل هذا يجعل المرء يحس بأن الجمع بالواو والنون مما يناسب المقام هنا ، من هذه السورة ، سورة يونس .

أما فى الممتحنة حيث جاء الجمع المكسر فإن الآية التى ورد فيها الجمع واضحة الطول – حوالى خمسة سطور – (٤) إذ السورة مدنية ، وسورة يونس مكية تقريبا ، ولذا تميزت بقصر آياتها فضلا عن أن رءوس الآى فى الممتحنة ليست الواو والنون أو الياء والنون، بل الياء (٥) والراء قبل الآى التى فيها (برآء) وكذلك بعدها .

إذن نرى السياق فى سورة يونس المكية تقريبا ناسب الجمع المصحح ، على العكس من السياق فى سورة الممتحنة المدنية التى ناسبها الجمع المكسر (برآء) وهكذا.

حافظو وحفظة :– جاءت (حافظون) مرفوعة ست مرات ، كما وردت بالياء (حافظين) خمس مرات ، مثل : (والذين هم لفروجهم حافظون (٦) – والحافظين فروجهم والحافظات (٧)) كذا وردت مجموعة بألف وتاء ، كما رأينا فى الآية الأخيرة ، إضافة إلى موضع آخر ، هو: (فالصالحات قانتات حافظات للغيب (٨)) .

---

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٣٤٨/٤ .

(٢) السابق .

(٣) راجع الآيات فى سورة يونس .

(٤) راجع الآية فى سورة الممتحنة .

(٥) راجع الآيات ٣،٥ / الممتحنة .

(٦) ٥ / المؤمنون .

(٧) ٣٥ / الأحزاب .

(٨) ٣٤ :/ النساء .

أما الصيغة المكسرة فقد جاءت فى موضع واحد ، هو :(وهو القاهر فوق عباده، ويرسل عليكم (١) حفظة) والمفرد هنا حافظ وحفيظ ، وهو الموكل بالشىء يحفظه ، والجمع حفظة وحفاظ ، والحفظة الذين يحصون (٢) الأعمال ، ويكتبونها على بنى آدم من الملائكة ، وهم الحافظون ، وفى التنزيل : (وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين (٣) - ويرسل عليكم (٤) حفظة) .

وقال الأزهرى (٥) : (والحفيظ الموكل بالشىء يحفظه ، يقال فلان حفيظنا عليكم وحافظنا) وفى التنزيل جاءت (حافظ) مرة مرفوعة وأخرى منصوبة ، فى حين جاءت (حفيظ) إحدى عشرة مرة ، مرفوعة فى ثمان ، ومنصوبة فى الباقيات .

ولا نسطيع القول هنا بالقلة مع المصحح والكثرة مع المكسر ، فالله سبحانه تعالى يقول :(يرسل عليكم حفظة) وفى موضع آخر يقول : (وإن عليكم لحافظين ...) فقد عبر القرآن الكريم عن الملائكة الذين يحفظونا مرة بالجمع المكسر ، ومرة بالمصحح .

فإذا نظرنا إلى الجمع المصحح وجدناه كله قد جاء رأس ، سواء ما جاء مرفوعا، أو غير مرفوع (حافظون - حافظين) على عكس الجمع الكسر الذى لم يأت رأس آية - كما رأينا - ولذا فإننا نرى أن وقوع الكلمة رأس آية هو سبب تصحيحها ، سواء جاءت بالواو والنون ، أو الياء والنون.

لكن تجدر الإشارة إلى أن (حافظون) قد جاءت مرة واحدة وسط الآية ، وليس على رأسها ، وكذلك (حافظين) ونرى أن سياق الآيتين كان سبب تصحيحهما ، انظر إلى كليهما:

---

(١) ٦١ / الأنعام .

(٢) عبد العال : الشامل لجموع التصحيح والتكسير ١ / ٢٩٨ .

(٣) ١٠ / الانفطار .

(٤) ٦١ / الأنعام .

(٥) تهذيب اللغة ، ٤ / ٤٥٨ .

- التائبون ، العابدون ، الحامدون ، السائحون ، الراكعون ، الساجدون الآمرون بالمعروف، والناهون عن المنكر ، والحافظون لحدود الله ، وبشر المؤمنين .

- إن المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، والقانتين والقانتات ، والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات ، والخاشعين والخشاعات ، والمتصدقين والمتصدقات ،والصائمين والصائمات ، والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيرا والذكرات ، أعد الله لهم مغفرة وأجر عظيما .

فإن التعديد فى هذا السياق -كما سيأتى تفصيله - قد أدى إلى حتمية أن يأتى الجمع فى كلا الآيتين مصحجا ، فى الأولى بالواو والنون حتى تتسق مع باقى الصفات قبلها:(التأئبون ، العابدون ، الحامدون ...والناهون عن المنكر، والحافظون لحدود الله).

وهكذا الأمر فى الآية الثانية ، إذ جاءت الصفات قبلها وبعدها بالياء والنون ، فكان لزاما أن تأتى (حافظين) على نفس الصيغة والميزان إلى نهاية الآية .

حاكمين وحكام:-لم تقع الكلمة الأولى مرفوعة فى القرآن الكريم ، بل مجرورة فى كل مواضعها الخمسة، فهى دائما مضافة إلى اسم التفضيل (خير الحاكمين) فى ثلاثة مواضع (أحكم الحاكمين) فى موضعين ، وفى كل المواضع هى وصف للخالق - جل وعلا - فى حين جاء الجمع المكسر مرة واحدة (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل، وتدلوا بها إلى الحكام (١)) ولم تأت الكلمة فى غير هذا الموضع ، بل لم يأت المفرد: (حاكم) فى القرآن الكريم البتة..

ومن الواضح أن الجمع المكسر يشير إلى حكام الدنيا من المخاليق ، فى حين جاء الجمع المصحح مشيرا إلى الخالق فقط مسبوقا - كما نرى - بكلمة (خير) أو (أحكم) وهنا دل الجمع المصحح على شيء والمكسر على شيء آخر .

ويلاحظ أن الخالق - جل وعلا - لم يوصف بأنه (حاكم) فقد سبق أن هذى اللفظة ما وقعت فى كتاب الله قط ، وإنما وصف بلفظة أخرى ، هى (الملك) مثل :

---

(١) ١٨٨/ البقرة .

(فتعال الله الملك الحق (١) – الملك القدوس (٢) – ملك الناس (٣)) ولكن لفظة (ملك) هنا إما أنها موصوفة بالحق أو القدوس (٤)) وفى الموضع الأخير أضيف إليها الناس ، أى هو رب الناس جميعا ، ودون استثناء ، والسبب فى هذا الوصف أو الإضافة – فيما نرى – أن لفظة ملك وجمعها ملوك أريد بها ملوك الدنيا من المخاليق ، مثل : (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا (٥) – واذكروا نعمة الله عليكم ، إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم (٦) ملوكا) .

يقول صاحب القاموس المحيط (٧) : (والحاكم منفذ الحكم – كالحكم محرك – جمع حكام ، وحاكمه إلى الحاكم دعاه وخاصمه .... وحكام العرب فى الجاهلية هم : أكثم بن صيفى و ...و.....) إلخ ، ويقول ابن منظور (٨) : (الله – سبحانه وتعالى – أحكم الحاكمين ... من صفات الله – تعالى – الحكم والحكيم والحاكم ومعانى هذه الأسماء متقاربة ... الحاكم هو القاضى ... و العرب تقول : حكمت وأحكمت وحكمت بمعنى منعت ورددت ، ومن هذا قيل للحاكم بين الناس حاكم ؛ لأنه يمنع الظالم من (٩) الظلم) .

ويبدو أن الفاصلة القرآنية هى الأخرى كان له الدور المهم فى اختيار الجمع المصحح ، بدل المكسر ، فقد جاءت " حاكمين" فاصلة فى المواضع الخمسة التى وقعت فيها ، بل وقعت فى موضعين – من الخمسة – نهاية السورة كلها وخاتمتها ، كما جاء

---

(١) ١١٤ ، ط ١١٦. / المؤمنون .

(٢) ٢٣ / الحشر ، ١ الجمعة .

(٣) ٢ الناس .

(٤) القدوس – الطاهر المنزه عن النقائص ،وهو من صفات الله تعالى ، انظر : المعجم الوسيط ، مادة (ق د س) .

(٥) ٧٩ / الكهف .

(٦) ٢٠ / المائدة .

(٧) مادة : (ح ك م) .

(٨) لسان العرب ، مادة (ح ك م) .

(٩) السابق ٥/٣٠/٣١ .

فى ختم سورتى يونس والتين ، وفى مقابل ذلك كله لم تكن (حكام) نهاية آية ، ولم تأت على رأس فاصلة كما حدث مع الجمع المصحح .

خاشعون وخشعا :- ورد الماضى (خشع) فى : (وخشعت الأصوات للرحمن)(١) والمضارع فى : (ألم يأن للذن آمنو أن تخشع قلوبهم (٢) لذكر الله) والمصدر فى : (ويخرون للأذقان يبكون، ويزيدهم (٣) خشوعا) وورد اسم الفاعل مفردا فى : (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية (٤) الله) وجاء اسم الفاعل مفردا مؤنثا ، وصفا للأبصار ثلاث مرات ، منها : (خاشعة أبصارهم)(٥) ومرة للوجوه (وجوه يومئذ خاشعة)(٦) وأخرى للأرض (ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة) (٧) وهكذا .

أما المصحح فقد ورد بنوعيه المذكر والمؤنث ، فالأخير فى موضع ، هو (والخاشعين والخاشعات)(٨) وجاء المذكر مرفوعا مرة (قد أفلح المؤمنون ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون (٩)) وجاء بالياء ، منصوبا أو مجرورا خمس مرات ، منها : (ويدعوننا رغبا ورهبا ، وكانوا لنا خاشعين (١٠)) وجاء المكسر مرة فى (خشعا أبصارهم ، يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر) (١١) .

---

(١) ١٠٨ / طه .

(٢) ١٦ / الحديد .

(٣) ١٠٩ / الإسراء .

(٤) ٢١ / الحشر .

(٥) ٤٣ / القلم ، ٤٤ / المعارج .

(٦) ٢ / الغاشية .

(٧) ٣٩ / فصلت .

(٨) ٣٥ / الأحزاب .

(٩) ١ ، ٢ / المؤمنون .

(١٠) ٩٠ / الأنبياء .

(١١) ٨ / القمر .

قال الدكتور عبد المنعم سيد (١) : الخاشع : الخاضع .... والجمع (خُشَّع) وهو خَشوع، والجمع : خُشع ، ويجمع خاشع : خاشعون قال تعالى : (وتراهم يعرضون عليها خاشعين (٢) من الذل) وقال تعالى : (خشعا أبصارهم) .

وقال العكبرى (٣) : قوله تعالى (خشعا) هو حال ... و (أبصارهم) مرفوع بخشعا ، وجاز أن يعمل الجمع لأنه مكسر ... وقرئ خاشعا (٤) ، والتقدير فريقا خاشعا، ولم يؤنث لأن تأنيث الفاعل تأنيث الجمع ، وليس بحقيقى ، ويجوز أن ينتصب خاشعا بيدعو، على أنه مفعول له .

وهنا نرى الجمع المكسر دال على الكثرة قطعا ، بلا شك ، إذ تشير الآيتان : (فتول عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكر ، خشعا أبصارهم ، يخرجون من الأجداث كأنهم (٥) جراد منتشر) إلى موقف الحساب ، حيث يقف الخلق جميعا ، من آدم إلى أن تقوم الساعة ، وهم لا يحصون عددا ، لقد أسرعوا جميعا كأنهم لكثرتهم جراد كثير كثيف منتشر (٦) .

ومن ناحية أخرى فإن وزن (فُعّل) ليس من جموع القلة ، بل من جموع الكثرة (٧) ، ولذا لاعجب إن جاءت فى القرآن الكريم دالة على الكثرة ، فتتلئب القاعدة مع واقع اللغة وتطبيقها على أرض الواقع .

ومن ناحية أخرى فإن الجمع المصحح،الذى وقع فى القرآن الكريم ست مرات أتى فاصلة ، نهاية آية فى نصفها، وفى النصف الآخر جاء المصحح فى

---

(١) الشامل ٢ / ٢٣ .

(٢) ٤٥ / الشورى .

(٣) إملاء ما من به الرحمن ، ٢ / ٢٤٩ .

(٤) ابن الجزرى : النشر ، انظر ٢/٣٨٠ .

(٥) سورة القمر .

(٦) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، انظر ٤/٢٦٣ .

(٧) ابن الحاجب : الكافية فى النحو ، انظر : ٢ / ١٩٠ .

درج الآى ، مثال الأولى : (قد أفلح المؤمنون ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون) والثانية مما لم يأت رأس آية (وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل) .

ومن الواضح أن الجمع المصحح دل على القلة - فيما نفهم من سياق الآيات - إذ المؤمنون الخاشعون دائما قلة إلى جانب باقى الخلق ، كما نلاحظ أيضا أن الخشوع أسند إلى المؤمنين إلا فى موضع الشورى فقط (وترى الظالمين لما راوا العذاب يقولون : هل إلى مرد من سبيل ، وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ، ينظرون من طرف خفى ... ألا إن الظالمين فى عذاب مقيم) .

ومعنى (خاشعين) متضائلين متقاصرين مما يلحقهم (من الذل) وقد يوقف على (خاشعين) على اعتبار أن تبدأ جملة جديدة ، هى : (من الذل ينظرون) فالجار والمجرور متعلق بالفعل (ينظرون) والنظرة من طرف خفى معناه أن هؤلاء الظالمين يبتدئ نظرهم من تحريك لأجفانهم ضعيف خفى بمسارقة، كما ترى المصبور - المحبوس للقتل - ينظر إلى السيف ، وهكذا نظر الناظر إلى المكاره، لا يقدر أن يفتح أجفانه عليها ، ويملأ عينيه منها)(١) .

وهكذا كان الخشوع فى الجمع المصحح مسندا إلى المؤمنين ، وكان خشوعا لله ، فى حين جاء فى موضع الشورى مسندا إلى الظالمين ، وقد ميز الجار والمجرور (من الذل) نوع الخشوع الذى أجبر عليه الظالمون ، إنه بسبب المهانة والذل من عذاب الله يوم القيامة ، حيث يعرضون على نيران جهنم ، كما ذكرت آية أخرى : (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا (٢))

وهكذا كان الخشوع فى الجمع المصحح مسندا إلى العاقلين ، وهم المؤمنون عدا موضع واحد - كما رأينا - أما المكسر فقد أسند إلى غير العاقل ، إلى الأبصار ، تماما كما جاء مع المفرد فى مثل : (خاشعة أبصارهم ، ترهقهم ذله).

---

(١) الزمخشرى : الكشاف ، نظر ٤٠٧/٣ ، ٤٠٨ .

(٢) ٤٦ / غافر .

خطيئات وخطايا :- وقعت كلمة (خطيئة) مفردة فى القرآن الكريم ثلاث مرات ، مرة مضافا إليها الهاء (خطيئته) ومرة مع ياء المتكلم (خطيئتى) والأخيرة مفردة منكرة ، غير مضافة (خطيئة) .

وجاء الجمع المصحح بالألف والتاء المزيدتين مرتين ، مع الكاف والميم مرة وأخرى مع الهاوالميم ، أى (خطيئاتكم - خطيئاتهم) فى حين جاء الجمع المكسر (خطايا) خمس مرات ، مرتين مع الكاف والميم وأخريين مع الهاء والميم، ومرة مع (نا) المضافة إلى ما قبلها ، أى (خطاياكم -خطاياهم - خطايانا) ولم يأت الجمعان المكسر أو المصحح دون إضافة .

ولا نرى أن (خطيئة) تجمع على (خطايا) - على ما ذكره (١) القدماء - بل الرأى (٢) أن مفرد (خطايا) هو (خطيَّة) مثل قضايا وقضية ومطايا ومطية وعطايا (٣) وعطية ، دون إعلال أو إبدال ، أو عسف وعنت ، فالفعل : (أخطا) بدون همز ، مضارع (يخطى) والاسم (خطية) والجمع (خطايا) ولا وجود للهمزة ، فى أية صيغة من صيغ الكلمة أما الصيغة الأخرى المهموزة : (أخطأ - يخطئ - خطيئة) فالجمع هنا - فيما نرى - هو (خطيئات) كما فى (بريئة) جمع (بريئات) وهكذا .

وقد وقعت (أخطا) غير مهموزة فى بيت الأعشى (٤) ، ميمون بن قيس :

ولو أن كل معد كان شاركنا .:. فى يوم ذى قارَ ما أخطاهم الشرف

أما (خطيئة) إن كسرت فهى (خطائئ) كما ورد فى قول بعض العرب : (اللهم اغفر لى خطائئ (٥) بهمزتين ، إذ يبدو أن الفصحى قد اختارت المفرد من

---

(١) ابن هشام : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، انظر : ص ٣٧٩ .

(٢) شاهن : المنهج الصوتى للبنية العربية ، انظر ١٧٣ ، ١٨٠ .

(٣) أبو الخير : الهمزة العربية ، انظر ص ٧٦ .

(٤) عبد التواب : مشكلة الهمزة العربية ، ص ٣٦ .

(٥) الأشمونى : شرح الأشمونى لألفية ابن مالك ٤ / ٤٨٨ .

الصيغة المهموزة (خطيئة) واختارت الصيغةغيرالمهموزة للجمع (خطايا) تماما كما اختارت الوقف على السكون للمرفوع والمجرور ، والوقف على المنصوب المنون بألف المد (١) ، لقد كان أمام العربية من اللهجات العديدة ما تختار منه ، ولهذا فإن من المهم جدا أن لا يهمل البعد اللهجي في الدراسة ، أو يتغافل عنه .

والخلاصة أننا نرى أن (خطيئة) إن صححت جاءت على خطيئات وإن كسرت كانت على (خطائئ) أما (خطايا) بدون همز ، فهي جمع (خطية) ولكن الفصحى عدلت عن هذه الأخيرة ، فاختارت للمفرد الصيغة المهموزة ، وللجمع الصيغة غير المهموزة ، وهكذا .

الأرذلون والأراذل :- جاء المفرد (أرذل) في موضعين فيالكتاب الكريم ، بنفس المعنى ، وذات السياق (ومنكم من يرد إلى أرذل العمر ؛ لكي لا يعلم من بعد علم شيئا (٢)) وقد جاء الجمع مصححا مرة ومكسرا أخرى ، وفي نفس السياق تقريبا ، وإن كانا في سورتين من القرآن مختلفتين ، إذ جاء الجمعان في سياق مجادلة نوح - عليه الصلاة والسلام - لقومه ، قال تعالى :

- ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه إني لكم نذير مبين ... فقال الملأ الذين كفروا من قومه : ما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا (٣) بادي الرأي .

-كذبت قوم نوح المرسلين ، إذ قال لهم أخوهم نوح : ألا تتقون ... قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون ، قال : وما علمي بما كانوا يعملون (٤).

وقد جاء الجمعان - المكسر والمصحح - لوصم من اتبع نوحا - عليه الصلاة والسلام - وفي مقام مجادلة قوم نوح ، أو من كفر منهم ، فلا يرى هؤلاء

---

(١) الشايب : تأملات في بعض ظواهر الحذف الصرفي ، ص ٧٩ .

(٢) ٧٠ / النحل ، ٥ / الحج .

(٣) ٢٥ - ٢٧ / هود .

(٤) ١٠٥ - ١١١ / الشعراء .

الكفار أن يؤمنوا بما جاء به نبى الله ، إذ لم يتبعه إلا ضعاف الناس ، أو أراذلهم فى نظر الملأ الذين كفروا .

ونرى أن السبب فى استخدام الجمع المصحح فى موقعه هو أنه جاء فى رأس الآية، فرعوس الآى هنا منتهية بواو و نون ، أو ياء ونون ، وقد يراد القلة أيضا ، فَعِلْيَة القوم من الكفار ينظرون إلى المؤمنين على أنهم قلة قليلة ، لا شان لها ، ولا خطر ، يقص القرآن الكريم ما كان بين موسى – عليه السلام – وفرعون :(وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادى ؛ إنكم متبعون ، فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين إن هؤلاء لشرذمة قليلون ، وإنهم لنا لغائظون) (١) .

أما الجمع المكسر (أراذل) فلم يأت رأس آية ، كما وصف بصفة لم تأت فى القرآن الكريم فى غير هذا الموضع : (هم أراذلنا ، بادى الرأى) ومعنى (بادى الرأى) فى عجلة ، من غير روية وإنعام نظر أو فكر ، إذ بمجرد أن دعوتهم – يا نوح – أجابوك واتبعوك ، وهذى الصفة توحى بالازدراء من جانب الذين كفروا لمن آمن بنبى الله – عليه السلام – مجيبا دعوته ، دون تردد أو إبطاء (٢) وهكذا كل عاقل يتبين له صحة الرأى وصواب الوجهة ، فإنه يقدم – غير مكترث – إلى ما اطمأن إليه .

على أية حال فقد جاء فى المعجم الكبير (٣) : (ويقال : فعل هذا بادئ الرأى : أونه ، دون تريث ، وعليه قراءة أبى عمرو (٤) : " بادئ الرأى" بالهمز ، وفى خبر الغلام الذى قتله الخضر : فانطلق إلى أحدهم بادئ الرأى فقتله) .

---

(١) ٥٢-٥٥ الشعراء .

(٢) السابق .

(٣) مادة (ب د أ) .

(٤) قرأ أبو عمرو بن العلاء وحده (بادئ الراى) بهمز الأولى ،وبلا همز فى الثانية ، وقرأ باقى القراء السبعة (بادى الرأى) بهمز الثانية فقط . انظر : ابن مجاهد : السبعة فى القراءات ، ص ٣٣٢ .

وهكذا حددت الفاصلة القرآنية سبب اختلاف الجمعين هنا ، ولماذا جاء المصحح فى آية ، والمكسر فى الآية الأخرى .

راسيات ورواس :–لم يأت المفرد (راسى) مذكرا أو مؤنثا فى القرآن الكريم ، بل جاء الفعل مسندا إلى الجبال ، قال تعالى : (والجبال أرساها (١)) وجاء الفعل رأس آية ، وكذا الآيات الخمس (٢) قبلها ، إذ تنتهى كلها بـ (ها) :

- أأنتم أشد خلقا ، أم السماء ، بناها .
- رفع سمكها فسواها .
- وأغطش ليلها ، وأخرج ضحاها .
- والأرض بعد ذلك دحاها .
- أخرج منها ماءها ومرعاها .

ولذا جاءت الآية السادسة بعد هذى الخمس منتهية بـ (ها) أيضا .

أما الجمع المكسر (رواسى) فقد جاء فى تسعة مواضع من الكتاب الكريم، كلها مسندة إلى الجبال أيضا ، دون تسميتها أو ذكرها ظاهرة فى أية آية من الآيات التسع التى وردت فيها لفظة (رواسى) .

يقول الله – تعالى – فى إحدى هذى الآيات : (وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهارا (٣)) ويلاحظ أن الآية تتحدث عن الأرض ، وهكذا كل الآيات التسع ، الحديث فيها عن الأرض أو الكرة الأرضية ، ومعنى الآية التى ذكرناها هنا أن الله – سبحانه وتعالى – مد الأرض ، وجعلها متسعة ، ممتدة فى الطول والعرض، وأرساها بجبال راسيات شامخات ، وأجرى فيها الأنهار والجداول والعيون (٤)

---

(١) ٣٢ / النازعات .

(٢) ٢٧ – ٣١ / النازعات .

(٣) ٣ / الرعد .

(٤) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٢/ ٥٠٠ ، وفى سورة النبأ : (ألم نجعل الأرض مهادا ، والجبال أوتادا) الآية السابقة .

أما الجمع المصحح (راسيات) فقد ورد مرة واحدة وصفا لقدور سليمان - عليه السلام - يقول الله تعالى : (ولسيمان الريح ، غدوها شهر ، ورواحها شهر ، وأسلنا له عين القطر ، ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ، ومن يزغ منهم عن أمرنا ، نذقه من عذاب السعير ، يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل، وجفان كالجواب ، وقدور راسيات ، اعملوا آل داود شكرا ، وقليل من عبادى الشكور)(١) .

لقد كانت الجن تصنع لسيمان - عليه السلام - جفانا كبيرة للطعام ، مثل الجواب - مفرد جابية - أى الحوض الذى يجبى فيه الماء ويجمع (٢) - وتصنع له أيضا قدورا راسية لضخامتها (٣) ، فكأنها الجبال ، لا تتحرك عن مكانها لشدة ضخامتها .

وقد جاء الجمعان لغير العاقل ، أى المصحح بالألف والتاء ، والمكسر ، فقد ارتبط الأول بالجبال ، والثانى بالقدور ، وكلاهما من جموع الكثرة ، فهما على زنة:(فِعال - فُعول) فلا يمكن القول إذن بأن أحد الجمعين للقلة ، وهو المصحح (راسيات) والآخر المكسر للكثرة ، إذا يبدو أن الجمعين كليهما للكثرة ، وبذاك لا نستطيع القول بأن الجمع المصحح للقلة والمكسر للكثرة .

راكعون وركع :- وقع الأمر مسندا إلى ياء المخاطبة : (يا مريم : اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين (٤)) وجاء مسند لواو الجماعة ثلاث مرات، ومرة واحدة جاء المضارع مسندا إلى الواو ، قال تعالى : (وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون)(٥) .

---

(١) ١٢ ، ١٣ / سبأ .

(٢) الفيروزبادى : القاموس المحيط ، مادة (ج ب ى) .

(٣) قطب : فى ظلال القرآن ، ٦ / ٦٣٧ .

(٤) ٤٣ /آل عمران .

(٥) ٤٨/المرسلات .

أما اسم الفاعل فقد جاء مفردا ، فى قوله تعالى : (وظن داود أنما فتناه ، فاستغفر ربه ، وخر راكعا وأناب)(١) أما الجمع فقد جاء مصححا ومكسرا ، فالمصحح جاء مرتين مرفوعا غير معرف بالألف واللام ، كما فى قول الله تعالى: (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، وهم راكعون)(٢) وجاءت مرتين مجرورة معرفة بالألف واللام ، كما فى قوله تعالى : (وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين (٣)) .

أما الجمع المكسر فقد وقع ثلاث مرات ، مرة منكرة (تراهم ركعا (٤) سجدا) ومرتين معرفين بالألف واللام ، مثل : (وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود (٥)) .

ولا نرى أن الجمع المصحح جاء للقلة والمكسر للكثرة ، فلا يمكن القول بأن الراكعين قلة فى قول الله تعالى : (واركعوا مع الراكعين (٦) – واركعى مع الراكعين (٧)) أو فى غيرهما من مواضع الجمع المصحح ، فى مقابل الكثرة فى مواضع المكسر ، ولكن الذى يمكن قوله ان الفاصلة القرآنية كانت وراء استخدام الجمع المصحح فى ثلاثة من مواضعه الأربعة ، فى المائدة والبقرة وآل عمران (٨) ، وفى موضع التوبة (٩) جاءت الألفاظ التسعة جمعا مصححا لاسم الفاعل هكذا : (التائبون ، العابدون ، الحامدون ، السائحون ، الراكعون ، الساجدون ،

---

(١) ٢٤ / ص .
(٢) ٥٥/المائدة .
(٣) ٤٣ / البقرة .
(٤) ٢٩ / الفتح .
(٥) ٢٦ / الحج .
(٦) ٤٣ / البقرة .
(٧) ٤٣ / آل عمران .
(٨) الآيات ٥٥ ، ٤٣ ، ٤٣ من السور المذكورة على التوالى .
(٩) ١١٢ / التوبة .

الآمرون بالمعروف ، والناهون عن المنكر ،والحافظون لحدود الله ، وبشر المؤمنين) .

لقد كان من ضرورات السياق هنا أن يأتى الجمع مصححا غير مكسر وبالواو والنون ، حتى يتلئب مع ما سبق من ألفاظ ،وما تلاه ، أو تأتى كلها بالياء والنون ، على النصب بـ (إضمار أعنى أو أمدح ، ويجوز أن يكون مجرورا صفة للمؤمنين (١) أى فى الآية التى تسبقها : إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم (٢) .....) .

ومن ناحية أخرى فإن الجمع المكسر (ركع) قد فرضة السياق ، أو قل قد فرضته ضرورة السياق ، حيث ارتبطت هذى اللفظة بجمع آخر مكسر ، فجاءت اللفظتان معا ، فى المواضع الثلاثة فى القرآن الكريم فى البقرة والحج (٣) (والركع السجود) وفى الفتح (٤) (ركعا سجدا) .

وهكذا فرض السياق جمع التكسير فى مواضعه الثلاثة ،وفرض أيضا الجمع المصحح فى موضع التوبة – كما فصلنا – أما باقى مواضع المصحح – وهى ثلاثة – فقد كانت الفاصلة وراء اختيار المصحح ، دون المكسر ، وهكذا .

ساجدون وسجد :- وقع الفعل (سجد) فى مختلف صيغه ، أى فى الماضى والمضارع والأمر ،وكذا وقع المصدر فى أربعة مواضع من القرآن الكريم ، مثل : (سيماهم فى وجوههم من أثر السجود)(٥) فى حين وقع اسم الفاعل مفردا مرة واحدة فقط ، فى قوله تعالى :(أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما ، يحذر

(١) العكبرى : إملاء ما من به الرحمن ، ٢ / ٢٣ .

(٢) ١١١ التوبة .

(٣) الآيتان ١٢٥ ، ٢٦ .

(٤) الآية ٢٩ .

(٥) ٢٩ / الفتح .

الآخرة ، ويرجو رحمة ربه) (١) و جمع ساجد سُجَّد وسُجود (٢) ، وقد وردت الصيغتان في القرآن الكريم ، فقد جاءت الأخيرة مرتين ، وفي كليهما مسبوقة بنفس الكلمة ، أي : (و الركع السجود)(٣) في الموضعين .

أما الصيغة الأخرى فقد جاءت إحدى عشرة مرة ، مثل : (وادخلوا الباب سجدا(٤) فلماذا اختلفت الصيغتان المكسرتان ؟ أو بمعنى آخر ، لماذا استخدمت الصيغة المكسرة (سجود ") في موضعيها ، ولم تركت الصيغة الأخرى (سجدا) في هذين الموضعين ، ولا سيما أن هذه الصيغة الأخيرة كانت أكثر شيوعا واستخداما من الأخرى إذا نسبتها إلى الأخرى ١١ : ٢ ؟ وهي نسبة عالية ، كما ترى .

إن السبب – في رأينا – يكمن في أن (السجود) وقعت في موضعيها رأس آية ، إذ رءوس الآى في كلتا السورتين – البقرة والحج – مما يناسب هذه الصيغة، ففي سورة الحج تنتهي الآيات بالمقطعين (ص ح + ص ح ح ص) فقبل (السجود) كانت الكلمات الخمس مثلا : أليم – حميد – حريق – حديد (٥) – جلود) رأس الآيات التي سبقت ، والآيات التي تلحق كان على رأسها مثلا : (عميق – فقير – عتيق) إلخ .

والشأن نفسه نجده في سورة البقرة ، ومن ثم فرءوس الآى المتناسقة هي التي أدت إلى استخدام الصيغة المكسرة : (سجود) في موضعيها ، دون الصيغة الأخرى ، التي لم تأت رأس آية في أي موضع من مواضعها الإحدىعشرة التي

---

(١) ٩ / الزمر .

(٢) عبد العال :/ الشامل لجموع التصحيح والتكسير ، ٢ / ٣٢٠ .

(٣) ١٢٥ / البقرة ، ٢٦ / الحج .

(٤) ٥٨ / البقرة ، ١٦١ / الأعراف .

(٥) الوقف هنا بالسكون ، بدون تنوين ولا إعراب في نهاية الآية .

أشير إليها ، اللهم إلا في موضع واحد ، هو موضع الإسراء (إذا يتلى عليهم يخرون للإذقان سجدا) وكانت هنا مما يناسب رءوس الآى قبلها وبعدها .

إذن رءوس الآى هى السبب وراء اختيار صيغة مكسرة ، دون الأخرى ، كما رأينا فى : (سُجَّد - سُجود) فماذا عن الجمع المصحح (ساجدون) ؟ لقد جاءت بالواو والنون مرة واحدة ، وبالياء والنون إحدى عشرة مرة ، كلها - دون استثناء - جاءت رأس آية فى سورها المختلفة ، وهو ما حتم أن تأتى الصيغة مصححة غير مكسرة .

أما الصيغة المصححة الأخرى التى جاءت بالواو والنون فقد ذكرنا فى (الراكعون) أن نسق الآية (١) حتم الصيغة المصححة كى تتناسق الكلمات كلها فى الآية :(التائبون ،العابدون ، الحامدون ، السائحون ، الركعون ، الساجدون ، الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ....) إلخ الآية .

وهكذا رأينا الفاصلة القرآنية وتناسق رءوس الآى ثم تناسق الآية ، أو سياق الكلمة وراء اختيار صيغة مكسرة ، دون أخرى ، أو اختيار الصيغة المصححة ، دون المكسرة ، أو العكس .

الزارعون والزراع :- وقع الجمع المصحح مرة واحدة ، وكذلك المكسر : (أفرأيتم ما تحرثون ، أأنتم تزرعونه أن نحن الزارعون (٢) - فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار) (٣) وقد جاء الجمع المصحح فى رأس الآية ، أى

---

(١) يقول السيوطى : (التعديد : هو إيقاع الألفاظ المفردة على سياق واحد ، وأكثر ما يوجد فى الصفات .... كما فى قوله : التائبون العابدون ، خمسون ...) الإتقان ٢ / ٩٠ .

(٢) ٦٤ / الواقعة .

(٣) ٢٩ / الفتح .

أن الفاصلة القرآنية هي السبب في وجود المصحح هنا ،ولذا جاء الجمع المكسر (الزراع) في موضعه ، إذ هو لم يقع رأس آية .

ولا نستطيع القول بأن الجمع المصحح جاء للقلة ، والمكسر هنا جاء للكثرة إذ يقول الله تعالى : (أفرأيتم ما تحرثون ؟) وهو شق الأرض وإثارتها والبذر فيها (أأنتم تزرعونه) أى تنبتونه من الأرض (أم نحن الزارعون ؟) أى بل نحن الذى نقرقراره ، وننبته في الأرض ، ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يقولن أحدكم زرعت ، ولكن قل حرثت) فإذا قرأنا قول الله تعالى : (أأنتم تزرعونه أن نحن الزارعون ؟) كان علينا أن نجيب :(بل أنت يا رب(١)) .

ومن هنا فإن المقصود بـ (نحن الزارعون) ليس جمعا ، بأى حال من الأحوال ، بل المفرد ، رب العزة ، المعظم لنفسه ، فالجمع - قلة أوكثرة - ليس واردا هنا ، بحال من الأحوال .

ومن ناحية أخرى فإن الجمع المكسر وإن كانت صيغته من جموع الكثرة فإنه لا يدل على الكثرة ، إنه وصف لمحمد - صلى الله عليه وسلم - وصحبه، كما جاء في الإنجيل ، ولم يكن القوم كثرة ، إذ هم كما ذكرت الآية : (محمد رسول الله ، والذين معه ...) إنهم (كزرع أخرج شطأه) فهو زرع نام قوى ، يخرج فرعه من قوته وخصوبته ، ولكن هذا الفرع لا يضعف العود ، بل يشد أزره (فاستغلظ) الزرع ، وضخمت ساقه ، وامتلأت (فاستوى على سوقه) لا معوجا ، أو مائلا محنيا ، ولكن مستقيما قويا ، سليما سويا (٢) .

هذه صورة الزرع ، فأما وقعه في نفوس أهل الخبرة في الزرع والفلّح العارفين بالنامي منه والذابل ، المثمر منه والمجدب ، فهو وقع البهجة والإعجاب

---

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ٤ / ٢٩٦ .

(٢) قطب : في ظلال القرآن ، انظر ٧ / ٥١٥ .

(يعجب الزراع) وفى قراءة (الزارع) وهو رسول الله -صلى الله عليه وسلم - صاحب هذا الزرع النامى القوى (١) البهيج .

ومما يلقى الضوء على سياق كلمة : (الزراع) أى محمد - صلى الله عليه وسلم - ومن معه ، أن هذى الآية من سورة الفتح ، التى نزلت عند رجوع الرسول -صلى الله عليه وسلم- من صلح الحديبية الذى كان آخر سنة ست للهجرة، وقد خرج المسلمون إلى مكة لأداء العمرة ، ثم كان ما كان من أمر مشركى مكة حين منعوهم ، وانتهى الأمر إلى هدنة الحديبية ، ولم يكن المسلمون كثرة كان عددهم ١٤٠٠ ، فى حين زادوا إلى عشرة آلاف رجل بعدها بعامين عندما خرجوا إلى فتح مكة (٢) .

ومعنى آية : (ومثلهم فى الأنجيل ...) أن الله يبشر الصحابة الذين خرجوا إلى مكة معتمرين ، فردهم المشركون ، وكان هذا الصلح الذى رآة كثير منهم غير محقق لهم ما يريدون ، وما يستحقون، بل قال عمر : (علام نعطى الدنية فى ديننا ؟) إن الله يبشر هؤلاء جميعا بأن هذا الدين قد استوى على سوقه ، فنما ونضج ، ولم يعد من الممكن القضاء عليه ، أو الخوف عليه ، وهكذا .

صفوة القول أن الكلمة جاءت مصححة . (الزارعون) لأنها رأس آية ، مراعاة للفواصل فى السورة ، وأن الصيغة المكسرة (الزراع) لم تكن تعنى الكثرة ، برغم أن صيغة (فعّال) من صيغ الكثرة فى جموع التكسير ، فتحليل السياق لا يفيد الكثرة ، كما رأينا .

---

(١) السابق .

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية انظر ٣ / ٣٠٨ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢ .

الساحرون والسحرة :- جاء المفرد (ساحر) في القرآن الكريم ثنتى عشرة مرة ، منها (قال الكافرون : إن هذا الساحر مبين)(١) ووقع الجمع المصحح مرة واحدة : (أسحر هذا ؟ ولا يفلح الساحرون (٢)) فى حين جاء المكسر ثمانى مرات ، منها : (و ألقى السحرة ساجدين) (٣) ويتضح لنا أن هذا الموضع الوحيد الذى جاء مصححا إنما جاء رأس آية ، فالفاصلة القرآنية هنا هى التى عدلت عن الجمع المكسر ، إلى المصحح ، وهذا ما يتضح من مراجعة سياق آية (...... ولا يفلح الساحرون) والنظر فى رءوس الآى قبلها وبعدها ، بل فى السورة كلها ، التى انتهت آياتها بواو ونون أو ياء و نون ، وأحيانا ياء وميم ، أو ياء ولام .

فالصوامت التى جاءت فى رءوس آى السورة : (ن – م – ل) هى الصوامت المتوسطة (٤) فى العربية – باستثناء الراء – التى لم ترد فى رءوس الآى هنا ، وهذه الصفة – التوسط – التى جمعت بين الصوامت الثلاثة هى التى بررت وجودها فى نهاية الآيات .

أما الواو (الضمة الطويلة) والياء (الكسرة الطويلة) فبرغم ما يفرق بينهما ، فالأولى خلفية تنضم معها الشفتان ، والثانية أمامية تنفرج عند نطقها الشفتان ، نقول برغم هذا فكلتاهماحركة ضيقة (٥) ، بل لعلهما يتفقان فى درجة هذا الضيق ، أى فى درجة قرب اللسان من سقف الحنك المقابل له ، أو الذى يعلوه .

---

(١) ٢ / يونس .

(٢) ٧٧ / يونس .

(٣) ١٢٠ / الأعراف .

(٤) أبو الخير : أصوات العربية ، ص ٨٤ .

(٥) السابق ، انظر ص ١١٥ .

ولعل هذا ما يفسر ذوق الأذن لهما – الضمة الطويلة والكسرة – على أنهما شيء واحد، يأتيان في رءوس الآى ، وفي قوافي الشعر (١) .

سنبلات وسنابل :- وقع الجمع المكسر –وكذا المفرد – مرة واحدة فقط ، في حين وقع المصحح مرتين ثنتين : (كمثل حبة أنبتت سبع سنابل (٢) في كل سنبلة مائة حبة–إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف،وسبعَ سنبلات–(٣) وسبع سنبلات خضر (٤) بل ورد أسم الجنس الجمعي (فما حصدتم فذروه في سنبله ، إلا قليلا مما تأكلون) (٥).

وبرغم أن الصيغة المكسرة هنا من صيغ الكثرة ، إلا أنها جاءت مع العدد سبعة ، ومن ثم فهي تدل على القلة ، وليس الكثرة بل جاء الجمع المصحح أيضا مضافا إلى ذات العدد ، مما يشير إلى أن الصيغة المصححة جاءت أيضا للقلة .

ولذا فان السبب في اختلاف صيغتي الجمع ، أو صيغ الجمع لذات المفرد (سنبلة) يحتاج إلى بعض التحقيق والتدقيق ، فإن المسألة لا تدور حول القلة والكثرة ، أو بسبب رءوس الآى ، بل نلمح السياق في آيتي سورة يوسف مبررا لاستخدام الجمع بالألف والتاء ، بدلا من الجمع المكسر لتحقيق مزيد من الانسجام بين الألفاظ في كلتا الآيتين بل بين الجمل أيضا ، مما يوفر نوعا من الموسيقى والتناغم ، تأمل الألفاظ والجمل :

---

(١) عبد التواب : المدخل إلى علم اللغة . ومناهج البحث اللغوى . انظر ص ٩٤ ، ٩٥ .

(٢) ٢٦١ / البقرة .

(٣) ٤٣ / يوسف .

(٤) ٤٦ / يوسف .

(٥) ٤٧ / يوسف .

سبع بقرات سمان

يأكلهن سبع عجاف

وسبع سنبلات خضر

وأخر يابسات

فكما جاءت بقرات مجموعة بالألف والتاء ومسبوقة بكلمة سبع ، جاءت سنبلات هي الأخرى على نفس الجمع ، ومسبوقة بذات الكلمة :

سبع بقرات = سبع سنبلات .

وهكذا بقية الآيتين ، مما أسفر عن انسجام وموسيقى داخل تركيب الآيتين ، وهو ما يشير إلى خصيصة مهمة من خصائص العربية ، وهي :

إن لغتنا تجمع بين حزم القاعدة ومرونة السياق ، أوقل بين تواجد القاعدة وفاعليتها، وبين الاستجابة لمتطلبات السياق ، وموسيقيته ومشاعريته ، بل الإبداع ، الذي يصل في القرآن الكريم إلى حد الإعجاز والتحدي ، ولعلنا نعود إلى تفصيل ما سبق ، فيما بعد .

شاهدون وشهود :– يجمع شاهد على شهود ، وشهد ، وجمع الجمع : أشهاد ، قال تعالى :(ويوم يقوم (١) الأشهاد) ويقال أيضا : شاهد و شهد ، مثل صاحب وصَحْب . (٢)

---

(١) ٥١ / غافر .

(٢) عبد العال : الشامل لجموع الصحيح والتكسير ٢ / ٣٣٥ .

وقد وقع الجمع المكسر فى ثلاثة مواضع : (وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود (١) - وجعلت له مالا ممدودا (٢) ، وبنين شهودا - ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه (٣)) وقد جاء الجمع المكسر هنا رأس فى موضعين من الثلاثة ، كما ترى .

أما الجمع المصحح فقد جاء فى مواضعه التسعة رأس آية ، باستثناء موضع واحد، هو : (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم (٤) بالكفر).

وإذا كانت صيغة (شهود) من جموع الكثرة ، لا القلة ، فإنه يبدو أن الفاصلة القرآنية قد حسمت استخدام نوع الجمع المناسب مصححا أو مكسرا ، فقد جاءت الجموع كلها رأس ، عدا موضع واحد فى كل ، ومن هنا نرى الاستخدام المكسر قد جاء لمناسبته لرءوس الآى قبلها ، وكذلك الاستخدام المصحح هو الآخر، قد ناسب رءوس الآى ، كما سبق .

صافات وصواف :- صفت الطير فى السماء ، بسطت أجنحتها فى طيرانها ، ولم تحركها ، فهى صافة ، جمع صافات وصواف ، وفى التنزيل العزيز (أو لم يروا إلى الطير فوقهم صافات (٥)) وصَفَّ الشىء جعله صفا ، ومنه فى التنزيل : (فاذكروا اسم الله عليها صواف (٦)) وهى الإبل قد صفت قوائمها (٧) .

---

(١) ٧ / البروج .
(٢) ١٣ / المدثر .
(٣) ٦١ / يونس .
(٤) ١٧ / التوبة .
(٥) ١٩ / الملك .
(٦) ٣٦ / الحج .
(٧) وقال الفيروزبادى : (صواف ، أى مصفوفة ، فواعل بمعنى مفاعل ،وقيل : مصطفة) القاموس المحيط / ٣ / ١٥٧ .

على أية حال فقد وقع الجمع المكسر (صواف) فى موضع واحد ، فى حين جاء المصحح بالألف والتاء ثلاث مرات ، وبالواو والنون مرة واحدة ، فى قول الله تعالى : (وإنا لنحن الصافون ، وإنا لنحن المسبحون (١)) .

وقد ارتبطت صيغة صافات بالطير في موضعين : (والطير صآفات (٢)أو لم يروا إلى الطيرفوقهم صافات) فى حين جاء فى الموضع الثالث وصفا للملائكة، وليس الطير : (والصافات صفا ، فالزاجرات زجرا ، فالتاليات ذكرا ، إن إلهكم لواحد)(٣) إذن هو قسم بالملائكة التى تقوم بهذه الأعمال المذكورة فى بدء السورة التى سميت بالصافات .

وعليه فقد ارتبط الجمع المكسر (صواف) بالبُدن والأضاحى ، عن ابن عباس – رضى الله عنهما – فى قوله تعالى : (فاذكروا اسم الله عليها صواف) قال : قياما على ثلاث قوائم – معقولة يدها اليسرى .... وقيل إذا عَقّلتَ رجلها اليسرى – أى قيدتها – قامت على ثلاث ، وعن جابر – رضى الله عنه – أنّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – و أصحابة كانوا ينحرون البدن ، معقولة اليسرىءقائمة على ما بقى من قوائمها (٤) .

وعن قتاده ، قال فى حرف ابن مسعود : (صوافن) أى معقلة قياما ، وعن مجاهد: من قرأها (صوافن) قال : معقولة ، ومن قرأها : (صوافٌ) قال : تصف بين يديها ، وقال الحسن البصرى : (فاذكروا اسم الله عليها صواف) يعنى

---

(١) ١٦٥ / الصافات .

(٢) ٤١ / النور .

(٣) ١ – ٤ / الصافات .

(٤) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٣ / ٢٢٢ .

خالصة لله – عز وجل – وقال عبد الرحمن بن زيد (صواف) ليس فيها شرك كشرك الجاهلين لأصنامهم (١) .

إذن (صواف) هنا لها معنيان ، الأول أن الأضحية خالصة لوجه الله – تعالى – والثانى أن الأضحية – عند ذبحها – تقف على ثلاث من قوائمها ، لأن اليد اليسرى معقولة ، أى مقيدة .

أما قراءة (صوافن) التى نسبت إلى ابن مسعود فإنها لا تختلف كثيرا عن المعنى الثانى ، فإن المفرد هنا (صافن) من صفن الفرس يصفن صفونا قام على ثلاث قوائم ، وطرف حافر الرابعة (٢) .

وجدير بالذكر أن صافن تجمع على صوافن ، وصافنات أيضا ، قال تعالى: (إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد)(٣) الخيل الصافنات ، أى التى تقف على ثلاث وحافر الرابعة ، والجياد معناها السراع (٤) ، فكأنها لشدة سرعتها تطير بجناحين .

صفوة القول أننا وجدنا الجمع المكسر (صواف) يعنى البُدْن التى كانت تقف تذبح بعقل يدها اليسرى ، وقيامها على باقى القوائم ، فى حين جاء الجمع المصحح (صافات) يصف الطير فى موضعين ، والملائكة فى الثالث ،وفى جمع المذكر(الصافون) وصفت الملائكة أيضا .

---

(١) السابق .

(٢) القاموس المحيط ٢٣٨/٤ .

(٣) ٣١ / ص .

(٤) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٣٣/٤ .

ويبدو للباده أن القرآن وصف الملائكة مرة بجمع الألف (١) والتاء ، وأخرى بالواو والنون ،وبطبيعة الحال لا دخل للملائكة بالتذكير والتأنيث ، فالملائكة لا يتزاوجون ، ولكن السياق اقتضى في بداية السورة أن يكون الجمع بالألف والتاء (والصافات صفا ، فالزجرات زجرا ، فالتاليات ذكرا) وكذا الجمع الآخرناسب السياق ، واتلأب مع الفواصل ، ورعوس الآى (وإنا لنحن الصافون ، وإنا لنحن المسبحون، وإن كادوا ليقولون) وهكذا كان السياق ورعوس الآى -أو الفواصل القرآنية - وراء استخدام صيغتين جمعيتين مختلفتين لوصف الملائكة .

وأخيرا نشير إلى أن قراءة (صوافن) شاذة لمخالفتها للرسم (صواف) إذ فيها حرف زائد ، هو النون هنا ، ولذا لم يرد هذا الحرف إلا عن ابن مسعود (٢) .

عالمون وعلماء:-وردت كلمة (عالم) مفردة فى القرآن الكريم ثلاث عشرة مرة ، فى كل مرة هي وصف للخالق - جل وعلا - مع إضافة الغيب إليها، مثل : (عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم (٣) - عالم الغيب ، فلا يظهر على غيبه أحدا) (٤) .

وجاء الجمع المصحح مرفوعا مرة واحدة (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) (٥) فى حين جاء بالياء والنون أربع مرات منها : (إن فى ذلك لآيات للعالمين (٦) - وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين (٧)) أما المكسر

---

(١) وقد رد القرآن الكريم على ادعاء مشركي قريش بقوله : (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا . أشهدوا خلقهم ؟ ستكتب شهادتهم ، ويسألون) . ١٩ / الزخرف .

(٢) وقرئ أيضا (صوافنَ - صوافيا - صوافٍ) وكلها قراءات شاذة بسبب مخالفتها للرسم . انظر : ابن خالويه : مختصر فى شواذ القرآن من كتاب البديع ، بشرح برجشتراسر ، ص ٩٥ ، مكتبة المتنبي بالقاهرة .

(٣) ١٨ / التغابن .

(٤) ٢٦ / الجن .

(٥) ٤٣ / العنكبوت .

(٦) ٢٢ / الروم .

(٧) ٤٤ / يوسف .

فقد وقع مرتين ثنتين فقط (إنما يخشى (١) الله من عباده العلماء - أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى إسرائيل) (٢) .

ويلاحظ أن الجمع المصحح فى الخمسة - بالواو والنون - أو بالياء قد جاء رأس آية ، فى حين لم نجد هذا الجمع المكسر ، فى أى من موضعيه .

وثم ملاحظة أخرى أن الجمع المكسر (علماء) جاء وصفا للمخلوقين (علماء بنى إسرائيل - من عباده العلماء) أما الجمع المصحح فقد جاء بعضها مرتبطا بالخالق فى موضعين (وكنا به عالمين - وكنا بكل شيء عالمين) والباقى جاء للمخلوقين .

إذن نستطيع القول بأن الفاصلة القرآنية كانت وراء استخدام الجمع المصحح، أما الجمع المكسر فلم يكن رأس آية كما ذكرنا .

كافرون وكفار :- جاء فى لسان العرب : (كافر .... الجمع كفار وكَفَرَه وكِفار مثل جائع وجياع، ونائم ونيام ، وبجمع الكافرة كوافر ... ورجل كَفّار وكَفور كافر ،وجمعهما جميعا كُفُر ، ولا يجمع جمع السلامة ، لأن الهاء لا تدخل فى مؤنثه ، وقوله تعالى " فأبى الظالمون (٣) إلا كفورا" قال الأخفش : هو جمع الكُفُر ، مثل بُرُد وبُرود .... الكُفْر على أربعة أنحاء كفر إنكار ، بأن لا يعرف الله أصلا ، ولا يعترف به ، و كفر جحود ، وكفر نفاق) (٤) .

---

(١) ٢٨ / فاطر .

(٢) ١٩٧ / الشعراء .

(٣) ٨٩ / الإسراء .

(٤) ابن منظور : لسان العرب ٦ / ٤٥٩ .

وقد وقع المفرد المذكر (كافر) خمس مرات فقط ،ولم تأت الكلمة مؤنثة إلا في موضع واحد (فئة تقاتل في سبيل الله ، وأخرى كافرة) (١) وكذا الجمع (ولاتمسكوا بعضهم الكوافر) (٢) .

أما الجمع المصحح فقد وقع في مائة وعشرين وتسعة مواضع ، منها ست وثلاثون بالواو والنون ، وثلاثة وتسعون بالياء والنون ، وجاء الجمع المكسر في واحد وعشرين موضعا ، مثل : (فاليوم الذين آمنو من الكفار (٣) يضحكون) وجاءت (كفرة) في موضع واحد (أولئك هم الكفرة (٤) الفجرة) .

أما الصيغة الوحيدة هنا فقد ناسبت سياقها فتشاكلت مع الكلمة التى تليها ، من حيث الوزن والإيقاع ، نوع من السجع – إن صح التعبير-إذ يقول الجرجاني : (واعلم أن قوما حصروا اسم السجع في (٥) غير القرآن والشعر ، وقالوا بدل السجع في القرآن الفواصل ، وقوم جوزوا السجع في الشعر (٦)).

أما الجمع المكسر (كفار) فأول ما يلاحظ عليه كثرة وروده في القرآن الكريم وإن كانت أقل بكثير من الجمع المصحح (٢١ / ١٢٩) أى (١ / ٦) تقريبا .

والجمع المكسر هنا من جموع الكثرة ، وليس من جموع القلة ، ومع هذا لا نستطيع القول بأن سبب استخدام الجمع المصحح هو الإشارة إلى القلة في مقابلة

---

(١) ١٣ / آل عمران .

(٢) ١٠ / الممتحنة .

(٣) ٣٤ / المطففين .

(٤) ٤٢ / عبس .

(٥) كان هذا بسبب سجع الكهان ، حيث حاول بعضهم محاكاة أسلوب القرآن بهذا السجع ، ولكننا لا نوافق على هذا الرأى ، ولا نرى بأسا من إطلاق السجع على ما جاء في القرآن ، واستخدام الفواصل لرءوس الآى ، كما سبق .

(٦) الجرجاني : الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة ، ص ٣٠٠ .

الكثرة فى المكسر ، وإنما يمكن القول بـأن رءوس الآى واتحـاد الفواصـل القرآنيـة كان وراء استخدام الصيغة المصححة .

فإذا كانت هذه الصيغة المصححة قد جاءت بالواو والنون ستا وثلاثين مرة ، فقد جـاء منهـا رأس آيـة سبعا وعشـرين مـرة (٣٦ / ٢٧) أى بنسـبة (٤ / ٣) وعليه فقد جاءت الصيغة المصححة هنا فى تسـعة مواضـع فـى غـير رءوس الآى، ونـرى أن السياق هنا كان وراء مجئ هذه الصيغة ، وسـنعطى بعض الأمثلـة فيمـا بعد .

أما الصيغة المصححة بالياء والنون (كافرين) فقد كانت نسبة رءوس الآى ٥٤٪، أى (٥ / ٣) تقريبا ، أما باقى مواضع الصيغة هنا فقـد كـان السياق وراء استخدام الجمع المصحح .

على أية حال فإن مجموع مواضع الصيغة المصححة بـالواو والنـون واليـاء والنون = ١٢٩ ، جاء منها رأس آية = ٧٧ موضعـا ، أى بنسبة ٦٠٪ (٧ / ٤) لقد وجدنا اثنين وخمسين موضعا حوالى ٤٠٪ ليست رأس آية ، ونـرى أن السـياق كان السبب، ونعطى هنا بعض الأمثلة :

- والكافرون هم الظالمون . (١)

- إن اللـــــه جامع الكافرين والمنافقين فى جهنم جميعا . (٢)

- ألم تر أنا أرسلنا الشياطـين على الكافرين تـؤزهم أزا . (٣)

---

(١) ٢٥٤ / البقرة .

(٢) ١٤٠ / النساء .

(٣) ٨٣ / مريم .

لقد جاءت الصيغة المصححة مناسبة لما قبلها ، كما فى المثال الأخير (الشياطين .. الكافرين) أو لمّا بعدها ، كما فى المثالين (الكافرون ... الظالمون - الكافرين .... المنافقين) وهكذا .

جدول يوضح الألفاظ التي جمعت جمعا صحيحا ومكسرا في القرآن الكريم

مسلسل	الجذر	المفرد	الصيغة: فاعل	فعيل	فعيلة	أفعل	فُعلة	الصحيح	تكراره: جمع مذكر	جمع مؤنث	جمع قلة	المكسر	تكراره	سبب اختلاف الصيغة: اللغة	تكراره	اللهجة والقراءة	تكراره	السياق	تكراره	الدلالة	تكراره	الإيجاز	تكراره	الملاحظات
١	ب ر أ	بريء		✓				بريئون	١	–	–	براء	١	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	
٢	ح ف ظ	حافظ	✓					حافظون	٦	٥	–	حفظة	١	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	هنا سببان: اللغة + الدلالة
٣	ح ك م	حاكم	✓					الحاكمين	–	٥	–	حكام	١	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	يلاحظ أن الخطء في خطايا [illegible]
٤	خ ش ع	خاشع	✓					خاشعون	١	٥	–	خُشّع	١	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	
٥	خ ط أ	خطيئة			✓			خطيئات	–	–	٢	خطايا	٥	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	
٦	ر ذ ل	أرذل				✓		أرذلون	١	–	–	أراذل	١	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	
٧	ر س و	راسية	✓					راسيات	–	–	١	رواسي	١	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	
٨	ر ك ع	راكع	✓					الراكعون	٢	٢	–	رُكّع	٢	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	
٩	س ج د	ساجد	✓					ساجدون	١	١١	–	سُجّد / سجود	١١ / ٢	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	
١٠	ز ر ع	زارع	✓					زارعون	١	–	–	زُرّاع	١	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	يلاحظ أن اسم الفاعل [illegible]
١١	س ح ر	ساحر	✓					ساحرون	١	–	–	سحرة	٨	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	
١٢	س ن ب ل	سنبلة					✓	سنبلات	–	–	٢	سنابل	١	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	
١٣	ش ه د	شاهد	✓					شاهدون	١	٨	–	شهود	٣	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	
١٤	ص ف ف	صافّة	✓					صافّات / صافّون	– / ١	–	٢	صوافّ	١	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	
١٥	ع ل م	عالم	✓					العالمون	٦	١	–	[illegible]	٢	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	
١٦	ك ف ر	كافر	✓					الكافرون	٣٦	١٢	–	كفّار / كفرة	٢١ / ١	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	

الخــاتمــة

نتائج البحث

قبل أن نبدأ فى الحديث عن نتائج البحث نشير إلـى أننـا قصرنـا بحثنـا علـى تلك الألفاظ التىجمعت مصححة ومكسرة فى نفس الوقت ، كما جـاءت فـى القـرآن الكريم ، وبرواية حفص بن سليمان (ت ١٨٠ هـ) عن عـاصم بـن أبـى النجـود الكوفى (ت ١٢٧ هـ) فقط دون غيرهما ، وإن كنا - عند الضـرورة - قـد نشير إلى غير رواية حفص ، وذلك عندما نرى أنه يساعد علىاستكمال بعض النقاط فـى بحثنا ، كما سبق أن أشرنا إلـى قراءة ابن مسـعود - رضـى اللـه عنـه - فـى : (صوافن) بدلا من (صواف (١)) فى رواية حفص عن عاصم .

وقد حاولنا وضع نتائج بحثنا فى هذا الجدول الذى ضمناه ما خلصنا إليه من خلال دراستنا ، وسوف نحاول هنا تفصيل ما أجملناه فى الجدول المشار إليه :

أولا :- الألفاظ التى رأينا أنها جمعت مكسرة ومصححة فى القرآن الكريـم برواية حفص عن عاصم - هى ست عشـرة لفظة فقط ، فقد اشـترطنا أن يكـون المفـرد لكلا الجمعين واحدا ، ومـن ثم خرجـت لفظتـا (شـفعاءو شـافعين (٢)) فـإن مفـرد شفعاء هو شفيع ، ومفرد شافعين هو شافع ، وبرغم أن المعنى فى كليهمـا - شـافع وشفيع - قد يكون واحدا (٣) ، إلا أن اللفظ مختلف .

كذلك أخرجنا الملحق بالجمع المصحح ، إننا قصدنا بالمصحح القياسى الـذى تتوافر فيه كل شروط الجمع المصحح ، سواء كان المذكرالسالم ، أو المؤنث ، ولذا

---

(١) ٣٦ / الحج .

(٢) انظر مواضعهما فى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، ص ٣٨٤ .

(٣) المعجم الوسيط . انظر ١ / ٥٠٦ .

خرجت (أبناءوبنون) (١) لأن الأخيرة ملحقة بالجمع المذكر ، وليست جمعا ، كما نص النحاة .

وفي الجمع المكسر أخرجنا اسم الجنس الجمعي - كما سبق - فخرجت : (بدو وبادون - كلم وكلمات - بقر وبقرات) وأخرجنا ما رأينا أنه ليس تكسيرا ، مثل قيام فهي مصدر ، قال تعالى : (فما استطاعوا من قيام (٢)) وهنا خرج (قائمون وقيام) وهكذا .

ثانيا :- الألفاظ التي جمعت مصححة و مكسرة في القرآن الكريم لم تأت على وزن واحد ، بل على عدة أوزان أبرزها وزن (فاعل) الذي جاء ثنتي عشرة مرة أما الأوزان الأخرى (فعيل - فعيلة - أفعل - فعللة) فقد جاء كل وزن مرة واحدة فقط .

ويتضح مما سبق أن بعض الأوزان تقبل التاء ، وبعضها لا يقبل التاء ، مثال النوع الأول زارع وزارعة ، مثال الثاني الأرذل فإن لا يقبل التاء كما في المثال الأول وأوزانه ، ولذا فإن من اشترط لما يجمع مصححا ومكسرا قبوله التاء،اضطر إلى اعتبار (أحمرين وأسودينا) (٣) ضرورة،قال الشاعر :

فما وجدت بنات بني نزار .:. حلائل أحمرين وأسودينا

والأمر هنا ليس ضرورة بقدر ما هو انسجام مع لغة الشعر ووزنه،تماما كما حدث مع حسان في بيته الأشهر :

---

(١) انظر مواضعهما في المعجم المفهرس ، ص ١٣٧ .

(٢) ٤٥ / الذاريات .

(٣) قائل هذا البيت :حكيم الأعور بن عياش الكلبي ، أحد شعراء الشام ، من قصيدة يهجو بها مضر ، ويرمي فيها امرأة الكميت بن زيد (ت ١٢٦ هـ) انظر : ابن يعيش ٦٠/٥ .

لنا الجفنات الغر يلمعن فى الضحى .:.وأسيافنا من نجدة تقطر دما (١)

الأمر هنا أن الشاعر جاء بالألفاظ التى تنسجم مع وزن البيت ولذا اختار (الجفنات) ولم يختر (الجفان) لأن الوزن لا يسمح، وكذا (أسياف) وهو فى هذا لم يخرج عن قواعد العربية بل ما يزال فى رحابها وحماها ، وكذا الشاعر الآخر - أو غيره - الذى استخدم (أحمرينا - أسودينا) وهكذا

إلا أن اللافت للنظر أن الأوزان التى جمعت مصححة ومكسرة فى القرآن الكريم ليس منها وزن واحد من الذى يستوى فيه المذكر والمؤنث ، تماما كما ذكر القدماء ، مثل (صبور وحريح) وغيرهما (٢) .

ثالثا :- معظم الألفاظ التى جمعت مصححة ومكسرة كانت للعاقل ، والقليل منها لغير العاقل ، فى حدود خمسة ألفاظ فقط ، والباقى جاء للعاقل فقط .

ومن ناحية أخرى فقد اتضح أن الجمع المذكر كان أكثر من المؤنث السالم فى هذى الألفاظ التى صححت وكسرت ، فقد وجدنا (خطيئات وخطايا - راسيات ورواسى - سنبلات و سنابل - صافات وصواف) والباقى من الألفاظ جُمع مذكرا سالما ومكسرا .

رابعا :- فيما يتعلق بجمع المذكر السالم يلاحظ أن ما كان بالياء والنون أكثر من المرفوع ، بنسبة ١٣٣ إلى ٥٣ ، وهذا شيء منطقى على اعتبار أن ما كان بالياء والنون يشمل المنصوب والمجرور ، فى حين يقتصر النوع الأول على المرفوع فقط ، إضافة إلى أن الفواصل القرآنية تنحو بشكل واضح نحو الياء والنون، أو

---

(١) ابن يعيش : شرح المفصل ٥ / ٦٠ .

(٢) السابق .

نحو الياء مع صامت آخر ، هو فى الغالب من الصوامت المتوسطة (ل م ن ر) بشكل عام .

خامسا :- قد حاولنا البحث عن أسباب مجيء الصيغة الواحدة على جمعين مختلفين ، مكسر و مصحح ، فاتضح أن سبب القلة فى المصحح ، والكثرة فى المكسر لم يأت إلا فى مثال يتيم واحد ، ولذا كان مجمع اللغة العربية بالقاهرة على صواب تماما عندما قرر فى دورته الخامسة والأربعين أن جمع التكسير والجمع السالم يدلان على القليل (١) والكثير ، يقول الدكتور شوقى ضيف معلقا : (وواضح من كل ما سبق أن صيغ جمع التكسير مشتركة فى الدلالة على القلة والكثرة ، بحيث تستعملان فيهما استعمالا واحدا ،والسياق والقرينة هما اللذان يعينان الدلالة ، مثلها فى ذلك مثل صيغ السالم ، واسم الجمع ، واسم الجنس الجمعى ، فجميعها وضعتها اللغة لمطلق الجمع ، وتفهم القلة والكثرة حسب ما يرجحه ، أو بعبارة أدق يؤديه سياق الكلام ، وما به من قرائن (٢) .

أما أبرز أسباب جمع المفرد الواحد بصيغتين ، فقد كان الفاصلة القرآنية ، إذ تكرر (١٣١) مرة يليه السياق (٦١) مرة ، ثم السبب الدلالى (٢١) وأخيرا السبب اللهجى الذى تكرر مرتين فقط .

كل هذا يكشف عن خصيصة مهمة من خصائص اللغة القرآنية ، وهى دور الفاصلة القرآنية التى نحت بالجمع نحو التصحيح ، ما كان منها بالياء والنون ، أو الواو والنون .

والاهتمام بالفاصلة هنا يشير إلى الاهتمام بوزن الكلام وموسيقاه وشدة انسجامه وتآلفه ، فضلا عن سمو المعنى ورقيه ، فالإعجاز هنا فى الشكل

---

(١) ضيف : تيسيرات لغوية ، ص ٥٦ .

(٢) السابق ، ص ٦٤ .

والمضمون (١) – المعنى – على السواء ، يقول الله تعالى متحديا العرب : (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، لا يأتون بمثلة ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (٢)) .

كما يظهر مما سبق أن العربية – وبخاصة فى اللغة القرآنية – قد جمعت بين حضور القاعدة وحزمها ، وبين المرونة الواضحة عند الاستعمال على أرض الواقع ، فراعت الفاصلة والسياق والاعتبارات الدلالية .... إلخ وهذا ما جعل العربية توافق على جمع ذات المفرد الواحد بغير صيغة جمعية ،ولايصح أن يقال : إن هذا لمجرد التنويع والاختلاف ولو صح هذا – على استبعاده – فى غير القرآن الكريم ، فإنه فى الكتاب الخاتم لا يصح ، ولا يقبل أن يكون اختلاف صيغة الجمع ما بين التكسير والتصحيح – مع غناء أحدهما عن الآخر – بدون سبب أو لغير ما هدف .

سادسا :– وأخيرا تجدر الإشارة إلى أن الجمع فى العامية الحديثة يتجه نحو التكسير، على حساب التصحيح ، وخاصة المذكر السالم ، إذ بدأ الناس يميلون إلى:(المصاروة – المنايفة – الشراقوة – الدمايطة ...) إلخ ، بدلا من المصريين و المنوفيين والشرقاويين والدمياطيين ، بل أحيانا يضيفون الهاء فقط على المفرد قاصدين جمعه : (السيناوى – الغرباوى – الاسكندانى ← السيناوية – الغرباوية – الاسكندرانية) وهكذا .

(١) انظر إلى العربية عند الوقف على نهاية الجملة تسقط التنوين والإعراب على أهميتهما – فلا يكون الوقف إلا بالسكون ، أو الحركة الطويلة ، كما نجد مثلا فى المنون المنصوب . انظر أبو الخير : الصرف العربى ، ص ٢٨ .

(٢) ٨٨ / الإسراء .

ولعل السبب فى هذا أن الناطق بالعامية يعتبر الجمع المصحح - خاصـة ما كان بالواو والنون - من خصائص الكلام بالفصحى ، وهلم جرا .

والحمـد للـه أولا وآخـرا

والسلام عليكم ورحمـة اللـه وبركاتـه

أحمـد مصطفـى أبوالخـير

دمياط الجديدة

٢١ / ٦ / ١٩٩٧م .

المـراجـــع

إبراهيم ، د. إسماعيل : دراسة تقابلية بين اللغتين العربية والماليزية علـى مستوى التركيب النحوى ، ندوة تطوير تعليم اللغة العربية فى ماليزية ، الجامعة الإسـلامية العالمية ١٩٩٠ م .

ابن جنى :

- الخصـائص ، تحقيق محمد على النجار ، عالم الكتب ، القاهرة ١٩٨٣م .

- المحتسب فى تبين وجوه شواذ القراءات ، والإيضاح عنها ، تحقيق على النجدى د. عبد الحليم النجار ، د. عبد الفتاح شلبى ، المجلس الأعلى للشئون الإسـلامية ، القاهرة ١٩٦٦ م.

ابن الحاجب : كتـاب الكافيـة فـى النحـو ، شـرح رضـى الديـن الاسـتراباذى ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

ابن فارس : معجم مقـاييس اللغـة ، تحقيـق وشـرح عبـد السـلام هـارون مصطفـى البابى الحلبى ، ط ٣ القاهرة ١٩٨٣م .

ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مكتبة التراث الإسلامى ، حلب ١٩٨٠م .

ابن مجاهد : كتاب السبعة فى القراءات ، تحقيق الدكتور شوقى ضيف منظـور : لسان العرب ، ط. بولاق .

ابن هشام : أوضح المســالك إلـى ألفيـة ابـن مـالك ، دار الفكـر ، ط ٦٠ ، القـاهرة ١٩٧٤م .

ابن يعيش : شرح المفصل ، مكتبةالمتنبى ، القاهرة .

أبو الخير: د. أحمد مصطفى :

– أصوات العربية ، مركز أبحاث الوثائق والمخطوطات وتحقيق التراث ، كلية التربية بدمياط ، جامعة المنصورة ، ١٩٩٧ .

الهمزة العربية ، دار الفتح بالمنصورة ١٩٩٢ م.

الأردبيلي : شرح الأنموذج فى النحو للعلامة الزمخشرى ، تحقيق د. حسنى عبد الجليل ، مكتبة الآداب بالقاهرة ١٩٩٠ م.

الأشموني : شرح الأشمونى لألفية ابن مالك ، تحقيق د. عبد الحميد السيد ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ١٩٩٣ م .

أنيس : فى اللهجات العربية ، ط ٤ لأنجلو المصرية القاهرة ١٩٧٣ .

برجشتراسر : التطور النحوى للغة العربية ، مكتبة الخانجى بالقاهرة ١٩٨٢ م.

ثاويت ، محمد : صيغة فعلون فى العربية ، مجلة اللسان العربى ، مكتب تنسيق التعريب ، مجلد ١٢ ، جـ١ ، الرباط ١٩٧٥م .

حجازى د. محمود : علم اللغة العربية ، مدخل تاريخى مقارن فى ضوء التراث واللغات السامية ، الكويت ١٩٧٣ م.

حسان ، د. تمام : البيان فى روائع القرآن ، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآنى، عالم الكتب بالقاهرة ، ١٩٩٣ م.

الحسناوى ، محمد : الفاصلة فى القرآن ، المكتب الإسلامى ط ٢ ، بيروت ١٩٨٦م.

زكريا ، د . ميشال : الأسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة) المؤسسة الجامعية ، ط ٢ ، بيروت ١٩٨٦م .

الزمخشري : الكشاف ، دار المعرفة ، بيروت .

سيبويه : الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط ٣ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٨٨ م.

شاهين ، د. عبد الصبور : المنهج الصوتي للبنية العربية ، رؤية جديدة في الصرف العربي ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٧م .

الشايب ، د. فوزي : تأملات في بعض ظواهر الحذف الصرفي آداب الكويت ، الحولية العاشرة ، الرسالة الثانية والستون ١٩٨٩م .

ضيف ، د. شوقي : تيسيرات لغوية ، دار المعارف بالقاهرة ، ١٩٩٠م .

الطناحي ، د. محمود : جموع التكسير والعرف اللغوي ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، جـ ٧١، ١٩٩٢م .

عباس ، حسن : النحو الوافي ، دار المعارف ، ط ٦ ، القاهرة ، ١٩٨٣م .

عبد الباقي :المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ،دار الحديث ، القاهرة ١٩٨٧م.

عبد التواب ، د. رمضان :

- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى، ط٢،مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٨٥م .

- مشكلة الهمزة العربية ، بحث في تاريخ الخط العربي ، وتيسير الإملاء والتطور اللغوي للعربية الفصحى ، القاهرة ١٩٩٢م .

عبد الرءوف ، د. محمد عونى : القافية والأصوات اللغوية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٧٧م .

عبد العال ، د. عبد المنعم سيد : الشامل لجموع التصحيح والتكسير فى اللغة العربية ، مكتبة غريب ، القاهرة ١٩٨١ م.

عبد العزيز ، د. محمد حسن : الوضع اللغوى فى الفصحى المعاصرة ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٩٢م .

عبد القادر ، حامد :

- صيغة (فعلون) وكونها عربية وإعرابها .
- صيغة فعلون فى غير اللغة العربية من اللغات السامية .

نشرا فى (كتاب فى أصول اللغة) مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٦٩م .

العكبرى : إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٧٩ م.

عمر ، د. أحمد مختار : علم الدلالة ، علم الكتب ، ط ٣ ، ١٩٩٢م .

الفيروزبادى : القاموس المحيط ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ١٩٧٧.

الفيومى : المصباح المنير ، مكتبة لبنان ، بيروت ١٩٩٠ م .

كابلان ، روبرت : الحملة الأمريكية ، مستعربون وسفراء ورحالة ، ترجمة محمد الخولى ، دار الهلال / القاهرة ١٩٩٦م .

المحتويات

الناشر
جمعية لسان العرب لرعاية اللغة العربية
تُوَجّه المراسلات إلى رئيس الجمعية
٢ ش أفلاطون - مصر الجديدة - ت : ٢٧١٨٧٩٤ - ٢٤٨٢٢٢٨
القاهرة - ف : ٢٤٩٨٦٧٧